

١٣

آفاق خليجية

عبدالله بن أحمد الشباط

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

١٣



آفاق خليجية

عبدالله بن أحمد الشباط

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

آفاق خليجية

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
نادي المنطقة الشرقية الأدبي


بسم الله الرحمن الرحيم

«الأدب في الخليج العربي»

خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر



« الأدب في الخليج العربي »
خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر

الخليج العربي ... « لؤلؤة ومجداف ونخلة » ... هذه الوحدات الثلاث التي تتكون منها مقومات الحياة في الخليج العربي حتى اكتشف البترول فخمد ذكر « اللؤلؤ » ليحل محله الأنبوب ... فيكون التعريف لدى الأجيال المعاصرة : الخليج العربي « أنبوب ومجداف ونخلة » ... وهذه الركائز الثلاث هي ركائز الحياة الاقتصادية التي يعيش منها السكان بين النخلة والبحر .

والخليج العربي هو الشريط البحري الممتد من الجنوب من جهة بحر الهند متوغلاً في اليابسة نحو الشمال حتى يلتقي بما يسمى شط العرب ... وكانت الإمارات الواقعة على هذا الشريط تسمى بإمارات الخليج التي تتكون من إمارات الكويت والجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية والبحرين وقطر (وأبوظبي ودبي وخورفكان والشارقة وأم القيوين والفجيرة) ... وقد توحدت هذه الإمارات في إمارة واحدة تعرف الآن بدولة الإمارات العربية المتحدة ... ثم رأى حكام هذه الدول أن يوحدوا جهودهم ويكثفوا تعاونهم ويكرسوا وحدتهم فيما سمي بـ« مجلس التعاون الخليجي » الذي برز إلى الوجود في عام ١٤٠١هـ[١] ليضم الكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة وعمان .

وأنا هنا عندما أتحدث عن الخليج العربي فإنني سوف أتحدث فقط عن الشريط الساحلي الممتد من صفوان شمالاً وحتى رأس الحد جنوباً ... حيث يتداخل الخليج العربي مع خليج عمان ... وطبعاً لا أستطيع إدخال كامل مساحة المملكة العربية السعودية بوصفها عضواً في مجلس التعاون لأن ذلك سيفضي بالحديث عن نجد والحجاز وجبال شمر وتهامة ... وهو حديث يحتاج إلى مجلدات ... وإنما سأقصر

(١) لنا مقال بعنوان : « التعاون الخليجي لماذا ؟ » .

الحديث على تلك الوحدة الطبيعية المتمازجة في العادات والتقاليد واللهجات ولما لها من تشابه شديد حتى في إعداد وجبات الطعام ... كما إنني لن أبسط الحديث عن التاريخ القديم لهذه المنطقة ولا عن آدابها ... لأن ذلك أيضاً يحتاج إلى مجموعة من الباحثين المختصين الذين قد يخرجون بالعديد من المؤلفات مع أن هناك من قام بمحاولات سابقة أمثال الشيخ/ محمد بن عبدالله السالمي مؤلف كتاب (تحفة الأعيان بنهضة عُمان) ... والأستاذ/ مصطفى مراد الدباغ الذي ألف كتاب (قطر ماضيها وحاضرها) ... والشيخ/ محمد بن عبدالله العبدالقادر مؤلف كتاب (تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد) ... والأستاذ/ محمد سعيد المسلم مؤلف كتاب (ساحل الذهب الأسود) ... والشيخ/ عبدالعزيز الرشيد مؤلف كتاب (كتاب الكويت) ... وعلي بن حسين البلادي مؤلف (أنوار البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين) ... وج.ج. لوريمر مؤلف (دليل الخليج) ... وجورج رنسي مؤلف كتاب (عمان والساحل الجنوبي) ... والأستاذ/ عبدالرحمن العبيد مؤلف كتاب (الأدب في الخليج العربي) .

إن هذه البدايات كانت الإشارة للانطلاقة نحو التأليف عن هذه المنطقة حتى غدا مجرد حصر أسماء المؤلفات التي وضعت عن منطقة الخليج العربي يحتاج إلى الكثير من الجهد والوقت ... لذلك فلن آخذ الأخوة معي في هذه المتاهات المتشعبة ، وإنما سأقصر حديثي على فترة محددة هي النصف الأول من القرن الرابع عشر .

جـغـرافيـا

يمتد الخليج العربي من صفوان شمالاً إلى رأس الحد بطول يزيد عن ١٥٠٠ ميل، وبعرض يقدر بحوالي مائة ميل ... ويتكون من :

• **الكويت** : وهي دولة مستقلة تأسست قبل قرنين من الزمان على يد صباح مؤسس حكم آل الصباح ... عاصمتها الكويت ، ومساحتها حوالي ١٥٠٠٠ كم٢ ، ويزيد عدد سكانها عن ٨٠٠ ألف نسمة ، ويعتمدون في معيشتهم على التجارة وإنتاج البترول ... وقد نالت الكويت استقلالها في ١٣٨١هـ .

• **البحرين** : دولة مستقلة تقوم على جزيرة تتوسط الخليج العربي ، وتقترب من الساحل الشرقي للجزيرة العربية حتى لا يكاد يفصل بينهما سوى مسافة بسيطة لا تعدو العشرين ميلاً ... وقد كانت خاضعة لحكم الفرس حتى حررها أحمد بن محمد الخليفة سنة ١٧٨٣م .

وقد استقلت البحرين عام ١٣٨٠هـ ، ويقدر عدد سكانها بحوالي ٢٥٠ ألف نسمة ومساحتها حوالي (٦٠٠) كم مربع ... ومعيشة السكان تعتمد على الزراعة وصيد الأسماك والتجارة ... وعاصمتها المنامة .

• **المنطقة الشرقية** : وهي تشمل : الأحساء وقراها والدمام وتوابعها والقطيف وقراها ، وهي جزء من المملكة العربية السعودية منذ أن وحدها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ـ يرحمه الله تعالى ـ عام ١٣٥٤هـ .

بها أكبر احتياطي للبترول في العالم ، بمنطقة الغوار بالأحساء ... وتقدر مساحتها بحوالي ٢٥٠٠٠٠ كم مربع ... وعدد سكانها حوالي مليون وسبعمائة وخمسين ألف نسمة ... وبها شركتان للبترول هما شركة الزيت العربية (أرامكو) وشركة الزيت العربية المحدودة (اليابان) بالخفجي ... علاوة على المؤسسة العامة

للبترول والمعادن ... ويعمل السكان في حقول البترول بالإضافة إلى الزراعة والتجارة وصيد الأسماك ... ويقدر عدد أشجار النخيل بحوالي ١,٥ مليون نخلة وإنتاج التمور بحوالي ٣٠ ألف طن سنوياً .

• **قطــر** : شبه جزيرة تقع إلى الجنوب الشرقي من الأحساء ... وتقدر مساحتها بحوالي ١١٤٠٠ كم مربع ... ويزيد عدد سكانها عن ٢٥٠ ألف نسمة ... ويعمل معظم السكان في الشركات البترولية والمؤسسات الحكومية والتجارة وصيد الأسماك ... وعاصمتها : الدوحة .

• **الإمارات العربية المتحدة** : استقلت الإمارات السبع عام ١٣٩٠هـ ، واتحدت عام ١٣٩٥هـ ، وأصبحت عاصمتها : أبوظبي ... وتقدر مساحتها بحوالي ٣٠٠٠٠ كم مربع وسكانها حوالي ٣٥٠ ألف نسمة ... ويعتمد السكان في معيشتهم على العمل في شركات البترول وصيد الأسماك والزراعة .

• **عُمَـان** : استقلت عام ١٣٩٤هـ ، وعاصمتها : مسقط ، وتقدر مساحتها بحوالي ٧٥٠٠٠ كم مربع ، وسكانها حوالي مليون ونصف مليون نسمة ... ويعتمد السكان على الزراعة والصيد في معيشتهم .

تـاريـخـيــا

تمتد الحقبة التاريخية لمنطقة الخليج العربي إلى ما قبل خمسة آلاف سنة حسب ما ظهر من الحفريات التي اكتشفت في قطر والبحرين وفي منطقة أم النار بدولة الإمارات العربية المتحدة ... وحفريات جاوان بالقطيف ... وكانت تعرف آنذاك باسم « دلمـون » ... وبعد أن نزحت إليها القبائل العدنانية من تهامة صارت تعرف باسم البحرين .

وكانت أهم المدن التي خلدها التاريخ : كاظمة ـ أوال ـ الخط ـ هجر ـ قطر ـ سنجار ـ صحار .

وعندما صدع رسول الله ﷺ بدعوة الحق كان أهل هذه المنطقة من السباقين إلى الدخول في دين الله حيث بعثوا وفداً عام ٧ هـ ووفداً عام ٩ هـ عرف باسم وفد عبدالقيس ، فلما عادوا أسسوا مسجدهم في جواثا ... الذي قال عنه ابن عباس رضى الله عنه : « أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبدالقيس بجواثا » ... وقال شاعرهم يفتخر :

المسجد الثالث الشرقي كان لنا　　والمنبران وفصل القول والخطب
أيام لا مسجد للناس تعرفه　　إلا بطيبة والمحجوب ذوالحجب[1]

وقد ظلت هذه المنطقة تابعة لولاة المسلمين حتى ثار بها أبوسعيد الجنابي سنة ٢٨٧هـ ، فأقام دولة القرامطة في هجر ثم أسس ابنه سليمان مدينة الأحساء عام ٣١٠هـ ... وامتد نفوذه إلى بقية مناطق الخليج ما عدا عمان التي استولى عليها الخوارج من الأزد بعد مقتل الإمام علي كرم الله وجهه .

وعندما ثار عبدالله بن إبراهيم العيوني سنة ٤٦٥هـ على القرامطة استولى على الأحساء والقطيف والبحرين وشبه جزيرة قطر ، وامتد نفوذه شمالاً إلى البصرة وجنوباً

(١) معجم البلـدان .

إلى عمان ... واستمرت الدولة العيونية حتى هجم البرتغاليون على منطقة الخليج سنة ٦٣٥هـ فانفصلت بعض أجزائها ... فعمان ودولة الإمارات احتلتا من قبل البرتغاليين الذين دمروا المدن ... والبحرين احتلها الفرس ... أما الأحساء والقطيف فقد قاوم حاكمها مقرن بن زامل بن سيف بن أجود بن زامل حتى قتل سنة ٩٢٧هـ إلا أن الدولة العثمانية أرسلت جيشاً بقيادة محمد باشا فروخ سنة ٩٥٧هـ[1] فلم يتمكن من طرد البرتغاليين من منطقة الخليج ، بل اقتصر نفوذه على الأحساء ، حيث ثار براك بن غرير آل حميد على العثمانيين سنة ١٠٨٢هـ ، واستولى على الأحساء والقطيف والبحرين وقطر ، وأسس أبناؤه فيما بعد « كوت القرين » (الكويت) في عهد محمد بن عريعر (الأصقة) في أوائل القرن الثاني عشر ، كما يشير إلى ذلك الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه (تاريخ الكويت ص ٣٠) .

وخلال الفترة من ١١٠٠هـ ــ ١١٥٠هـ كانت القوى المتصارعة : الفرس ، الإنكليز ، الأتراك ، كل منها يحاول السيطرة على منطقة الخليج العربي ، فاحتل الإنكليز كلا من عمان والإمارات ... واحتل الأتراك الأحساء وقطر ... ودخلت الكويت في معاهدة معهم للحماية من القوى الخارجية ... أما البحرين فقد احتلها الفرس حتى حررها أحمد آل خليفة (الفاتح) كما أسلفنا ... ودخل خلفاؤه فيما بعد في حلف مع بريطانيا للحماية ...وبقي هذا الوضع إلى عام ١٣٣١هـ حيث ضم الملك عبدالعزيز آل سعود الأحساء والقطيف إلى المملكة العربية السعودية ... وحتى تحررت الأقسام الباقية كما أسلفنا سابقاً .

(١) تحفة المستفيد .

ثقافيـــا

والتعليم في منطقة الخليج العربي قديم ... سبق التعليم النظامي بحوالي نصف قرن ... فقد ذكر محمود شكري في كتابه (تاريخ نجـد) أن في الخطة الأحسائية نحو عشرين مدرسة يتعلم فيها الصبيان القرآن الكريم وتجويده ... ونحو ثلاثين مدرسة تدرس بها العلوم العربية والعلوم الدينية .

أما لوريمر فقد ذكر أسماء بعض المدارس حوالي سنة ١٣٢٥هـ : مدرسة آل مبارك ـ ومدرسة فرج بن عمران ـ ومدرسة موسى القاسم ـ ومدرسة آل الملا ـ ومدرسة ابن عبثان .

كما أشار الشيخ محمد العبدالقادر إلى المدرسة الشلهوبية والمدرسة الشرقية (الجيري) والمدرسة الغربية ... ومدرسة الصالحية .

كما ذكر الشيخ عبدالعزيز الرشيد أن الكويت كان بها عام ١٩٢٦م/١٣٤٢هـ حوالي سبع عشرة مدرسة .

وفي قطر توجد خمس مدارس هي، مدرسة (السنيدي) في الجسرة ... ومدرسة عبدالحميد الدايل ، ومدرسة بن درهم في فريق البدع ، وكُتاب حسن مراد ، وكُتاب السيدة آمنة محمود لتعليم البنات .

أما القطيف فلم يورد أحد من المؤرخين إحصاء معيناً عن عدد المدارس فيها إلا أنه بتتبع الحركة الفكرية يتضح أنه كانت توجد في كل قرية من قراها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ... وأكثر من عشر مدارس لتعليم العلوم الأخرى .

وفي عُمَـان ذكر الشيخ السالمي أن هناك عدداً من الكتاتيب لتعليم القرآن الكريم والكتابة والحساب ، بالإضافة إلى العديد من مدارس الوعظ والإرشاد التي يتعلم فيها الطلاب الحديث والفقه وعلوم اللغة العربية ... وكذلك الحال بالنسبة للبحريـن .

ولقد أدت هذه المدارس والكتاتيب رسالتها على نطاق محدود ، حتى بدأ التفكير جدياً في فتح مدارس نظامية في بعض البلدان ... وكان الشيخ قاسم بن ثاني ـ حاكم قطر آنذاك ـ هو السَّباق إلى استيفاد الشيخ محمد بن مانع ، وعندما حضر إلى قطر طلب منه أن يفتح مدرسة عُرفت باسم « المدرسة الأثيرية » سنة ١٣٣٠هـ[1] .

وفي نفس الفترة قامت حركة نشطة في دولة الكويت لإنشاء مدرسة عرفت باسم « المدرسة المباركيـة » ... وقد تزعم الدعوة إلى تأسيسها كل من : الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، والشيخ ناصر المبارك ، والسيد ياسين الطباطبائي[2] ... وقد شارك بالتدريس في هذه المدرسة عدد من أعلام الأدب والفكر في الوطن العربي نذكر منهم : الشيخ يوسف بن عيسى ـ الشيخ عبدالعزيز الرشيد ـ الشيخ محمد خراشي الأزهري ـ الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي ـ الشيخ حافظ وهبة ـ الشيخ عبدالعزيز بن حمد آل مبارك ـ السيد عبدالقادر البغدادي ، وبعد ذلك بعشر سنوات فتحت المدرسة الأحمدية . وفي عام ١٣٤٦هـ أنشىء أول مجلس للمعارف بالكويت .

وبعد ذلك بفترة بسيطة أخذت فكرة إنشاء مدارس نظامية في البحرين تتجسد عملياً لدى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ـ يرحمه الله ـ الذي أمر بإنشاء مدرسة الهداية الخليفية ، واستقدم لها المعلمين من مصر والشام ... وقد فتحت أبوابها عام ١٣٣٩هـ .

ولم تتوقف حركة الفكر بالكويت عند حد فتح المدارس ، وإنما نظمت الحركة لإيجاد متسع رحب تتبلور خلاله الأفكار النيرة ، فقامت الدعوة إلى إنشاء الجمعية الخيرية التي سبقت في حدود عام ١٣٣١هـ والتي اضطلع بها فرحان الفهد الخالد ... ثم المكتبة الأهلية التي افتتحت عام ١٣٤١هـ ، وكذلك النادي الأدبي الذي افتتح عام ١٣٤٢هـ ، ومدرسة السعادة التي أنشأها شعلان بن علي آل سيف عام ١٣٤٣هـ .

---

(١) الأدب القطري الحديث .
(٢) تاريخ الكويت .

ولعل متسائلاً يود الاستفهام عما تَولد عن هذا الوعي الذي انتشر فيما بعد ولم تكن في المنطقة مدارس نظامية تدرس بها سائر العلوم ! ...

والحقيقة أن كثيراً من أبناء الأحساء والبحرين والقطيف كانوا يتجهون إلى العراق للدراسة في مدارس النجف والزبير ومطالعة الصحف المختلفة هناك ... وبعضهم سافر إلى الهند لدراسة اللغة الإنكليزية ، والتجارة . وبعضهم سافر إلى الحجاز ودرس في الحرمين الشريفين على أيدي كبار العلماء هناك .

ولقد أسهمت هذه الدراسات البدائية والكتاتيب والمدارس الابتدائية في خلق فكر واعٍ ... وفتحت أعين الناس على الاغتراف من مناهل العلم ومطالعة الصحف والمشاركة الفعالة في بناء النهضة العلمية ... فبرز عدد لا يستهان به من رجالات الفكر والعلم شاركوا قولا وعملاً في نشر الوعي .

ولم يكن دور تلك الكتاتيب البسيطة والمدارس البدائية بالأمر السهل فقد أفرزت فكراً نيراً في وقت كانت جحافل الجهل تخيم على مساحات شاسعة من البلاد العربية ، بعضها بسبب الحروب القبلية الداخلية ، وبعضها بفعل الاحتلال الأجنبي ...

ولقد ساعد تلك المدارس والكتاتيب على أداء دورها البارز ورسالتها السامية وجود عدد من بيوت العلم ممن تأصلت لديهم الرغبة في نشر الثقافة والسعي الحثيث لتأصيل العلم في تلك الأسر ، وإبقائه متوارثاً من الأجداد للأحفاد ...

ومن تلك الأسر التي برزت خلال القرن الحادي عشر وما بعده :

* أسرة آل مبارك التي استوطنت الأحساء في أوائل القرن الثاني عشر[1] ... وقد برز منها ـ وما زالت تعطي ـ أكثر من خمسين عالماً وأديباً وشاعراً .
* أسرة آل الملا : وقد استوطنت الأحساء في بداية القرن الحادي عشر أيضاً ، وبرز منها أكثر من عشرة علماء وأدباء .

هذا إلى جانب العديد من الأسر التي نبغ بعض أفرادها كأسرة آل عبداللطيف وآل عمير ، وآل ماجد والغنام .

وفي القطيف حافظت بعض الأسر على مكانتها العلمية ، وبرز منها عدد

---

(١) مجلة العرب ، العدد ٨ ؛ سنة ١٧

من الأدباء والمفكرين ، منها : أسرة آل عمران ـ أسرة آل نصرالله ، أسرة آل عبدالجبار ـ أسرة خنيزي ـ وأسرة آل الجشي .

وفي البحرين : آل شبانة ـ آل عصفور ـ البلادي .

وفي الكويت : برزت أسرة العدساني .

وإلى جانب هذه الأسر فقد برز عدد من الأفراد الذين أسهموا في إثراء الحركة الفكرية ، وفي مقدمتهم الشاعر الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة ـ يرحمه الله ـ والشاعر إبراهيم بن محمد آل خليفة ... وعبدالله الفرج ت ١٣١٩هـ ، وعبدالله الخلف ١٣٤٩هـ ، وزين العابدين حسن ١٣٧٠هـ ، وأحمد خالد الشاري ١٣٦١هـ ، وعبداللطيف النضف[١] .

وفي الأحساء : أحمد بن محمد آل ماجد ، المتوفى سنة ١٣٣٠هـ .

ومن شعره في تأسيس الصالحية :

لقد أسست بالعلم والحلم والحجا ... مقدسة عما يشين وما يردي
أشيدت لعين العلم والدين قرة ... لتاج العلا بحر العلوم منى الرفد
عنيت به خير الوجوه أخا التقى ... سُمي خليل الله والعلم المهدي

يعني : إبراهيم بن عبداللطيف آل مبارك ـ يرحمه الله ـ الذي قام بتخطيط محلة الصالحية .

والشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ . ومن مؤلفاته التي ذكرها د. عبدالفتاح الحلو : « نظم متن عزية الزنجاني في الصرف » ، « تحفة الحكام فيما يجري بين أيديهم من الأقضية والأحكام » .

ومن شعره قوله مهنئا الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ بفتح مكة المكرمة :

ليهْنَ بني الإسلام فجر من الهدى ... محا نوره ليل المكاره مذ بدا
ويهنيهم حفظ الثغور وطيبة ... وأم القرى لا عانقتها يد الردى
بعزم إمام ثبت الله أمره ... وأورثه حلما ورأياً مسدداً
وقلده المولى رعاية خلقه ... فأعطاه علما كافيا ما تقلدا

---

(١) تحفة الأعيان .

فكانت ملوك الأرض شاهدة له بأن كان في فن السياسة أوحدا
إذا راعت الأعداء هيئة جنده علاهم برأي كان أمضى وأجودا

وعبدالله بن عبداللطيف العمير المتوفي سنة ١٣٧٧هـ . قد برع في دراسة الفقه والنحو ، وصنف منظومة كبيرة في النحو بلغت أبياتها ١٦٥ بيتا ... ومنظومة أخرى في عد سور القرآن .

وعددا من القصائد مثبتة في كتاب (شعراء هجر) .

ومن شعره :

قلَّ الحماة وما في الحي أنصار ودبر الأمر أحداث وإغمار
وأصبحت دارنا تبكي لفرقتها كل الكرام الذي بالجد قد ساروا
ساروا جميعا فصاروا للورى سمرا يتلو لذكراهم في الحي سمار
لهفي عليهم لو أن اللهف ينفعني جددت لهفي ودمع العين مدرار
ما في الزمان فتى نرجوه من حدث ولا رجالٌ لهم في المجد أخطار

ومما قاله صقر الشبيب المتوفى سنة ١٩٦٣م :

ليس في الأرض من طريق يؤدي سالكيه أو بعضهم للسعادة
فلها اسم بين الأنام شهيد ومسماه مستحيل الشهادة
ما رأينا إلا شقاء عتيدا لبني الأرض كلهم أو عتاده
وعلى العلم بالشقاء ترانا نتمنى من البنين الزيادة

ثم يختمها بنفحة إيمانية عميقة فيقول :

وإذن ليس عن هوى أو لبغض رام ذو النسل نسله وأراده
بل لأمر أراده الله تمت من بنيه إلى الوجود الوفاده

وخالد الفرج يقول في وصف الوضع في البلاد العربية آنذاك :

جُبتُ الجزيرة غربَها وجنوبها فرأيتها بتقاطع وتناصب
في كل مرحلة مليك قائم شغلت دقائقه بآخر طالب

لعدوه في ذلة عن قومه | في شاغل من جهله في قالب
وبكل شبر في الجزيرة أمة | ترنو إلى جيرانها كأجانب
إن قال فيها مصلح ليلمها | قاموا له من عاتب أو عائب
شغلوا عن الدين الذي هو حصنهم | بطوائف من بينهم ومذاهب
جعلوا الخلاف على الفروع فوارقا | ليسود فيهم حد سيف الغاصب
والأجنبي له السيادة كلها | قد وطنت بمكائد وتلاعب

والأستاذ خالد الفرج شغل منصب مدير الإذاعة السعودية عام ١٣٦٠هـ ، ثم رئيساً لبلدية الأحساء ، ثم القطيف ، وبعد ذلك استقال وأنشأ المطبعة السعودية بالدمام ... ومن مؤلفاته : « أحسن القصص » في سيرة الملك عبدالعزيز « ورجال الخليج » ، « وتبسيط الحروف العربية » .

وليس أمَرُّ من صرخة خالد الفرج إلا صرخة راشد السيف حيث يقول :

يا أمة الإسلام أين حلاوة | الإيمان هل ذهبت كريح الشمأل
إن الحقائق مُرّةٌ في طعمها | لكنها كالسهل حلو المأكل
سلبت عقول المسلمين زخارف | تتلو وعود مهدد ومضلل
ليس التشاؤم من طبيعة مسلم | تأبى عقيدته شكوك المبتلي
لكنما اليأس المخيم لم يكن | إلا لسوء عقيدة في أنذل
الله أكبر كيف أبدل عزنا | ذلا ، ونحن لرده لم نفعل؛
أين الرجال العاملون بعلمهم | أتقاعسوا عن شل داء مُشكلِ
الله قد أخذ العهود عليهم | ليوجهوا بالعلم فكر الأجهل

أما الشاعر عبدرب النبي المانع فيميل بشعره نحو الغزل العذب الرقيق ، حيث يقول :

لما اتخذن من الجمال سلاحاً | صيرن قتل العاشقين مباحاً
لم تدر حرّ القتل أجناد الهوى | حتى شهرن من الجفون سلاحاً

وبرزن من خلل الخبا يهززن من قاماتهن على القلوب رماحاً
يا حبذا ذاك السلاح وحبذا وقت يكون الحسن فيه سلاحاً

ثم يشكو لوعته ووجده فيقول :

ولقد بكيت من الغرام المدمع أودعته سر الهيام فباحا
وكتمت أشواقي فبرحها الأسى وسترته فوجدته فضاحا
برح الخفاء بزجره وبعبره يتساجلان تآلفا وسماحا

ونجد الشاعر أحمد خالد البدر المتوفى سنة ١٣٦١هـ يخاطب البدر بقوله :

أهلاً بمؤنس وحشة المشتاق زين الطليعة نير الإشراق
أهلاً بغرتك التي كم أثلجت قلباً وهاجت كامن الأشواق
يا بدرُكم آنست أرباب الهوى ورنوت في عطف على العشاق
كم كنت ثالث مغرمين بخلوة وشهدت طيب تواصل وتلاقي
ونظرت أبهج منظر لصبابة بث الغرام بقبلة وعناق
أشبهت من يهوي فهجت لواعجا من وجده فبكى من الإحراق
سامرته حتى الصباح تعلة وسترت ما قد باح من أشواق

ومن شعراء الكويت : محمود شوقي الأيوبي ـ يرحمه الله ـ المتوفي سنة ١٣٨٥هـ . وله عدة دواوين منها : رحيق الأرواح ـ الموازين ـ وحي الصحراء . ومن شعره :

سرت بين الأجداث استلهِمُ الأجداث ذكرى والدمع يغمر خدي
قلت : يا ساكني القبور أجيبوا ألديكم علم من الغيب يجدي
إن هذا الصمت الرهيب لديكمُ لم يرعني لكنه سر زهدي
كل قبر وراءه خبر لم ندر شيئاً عنه سوى جمع ضد
إن جميع الأضداد في الحرم الصامت أمر كان عن غير عمد
ربما كان ماجد في دنا الناس عظيم قد كان أكبر وغدِ

وحقير قد كان في الناس منبوذا بدار الخلد عنوان سعد
ذاك غيب ولا يعلم الغيب إلا من له شكري العظيم وحمدي

والشاعر الأديب أحمد بن مهدي بن نصرالله ، المتوفى سنة ١٣٠٦هـ . وقد ترك ديواناً في مجلدين . قال يصف قومه :

مالي أذل وما ذراعي رخوة كلا ولا عضدي كهام يوزع
ولأخضمن لله كل شفيقة خضم المصاعب بنت واد يمرع
ولأحملن على الدجنة فتية يحيي لها من كل فضل مرتع
شعثا يلوثون الأكف قوابضاً أكباد وجد في العماية تمزع

ويقول الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة ، في المرأة ، شاكياً وجده وهيامه وألمه من الحرمان :

دعوني أناديها فلست أبالي لي الله ما للعاذلين ومالي
دعوني فمالي في النصيحة حاجة أيحكم ذو شوق ويحكم سالي
دعوني أحييها ولو بإشارة وألحظها كيما ترد سؤالي
دعوني أطفىء نار وجدي بأدمعي كفى حزنا ألا تكون حيالي
فتاة الحمى عفوا فليس بطاقتي بعادك عني هل علمت بحالي ؟
وهأنذا أنفث دمعي بزفرتي أكافح نيران الجوى وأصالي
وأهتف في نومي وأصحو منادياً باسمك ماذا يا بثين جرى لي ؟
أعدد ساعات الدجى ثم إنني أراعي بياض الصبح حين بدا لي

أما الشاعر إبراهيم بن محمد آل خليفة فيقول عن الوطن بعد أن يتذوق عذاب الغربة :

وطن ورثناه عن الأجداد وتراث عز ثابت الأوتاد
ملكوه بالسمر العوالي عنوة واستخلصوه بهمة وعناد
وطني العزيز لقد هجرتك مكرهاً وهجرت فيك مطارحي ووسادي
لا عن قلى مني ولا عن رغبة في غير أحبابي وغير وهادي
لكن نفساً حرة نشأت على سنن العلا حجبت علي رقادي

أما الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل مبارك ، المتوفى عام ١٢٤٣هـ ، فتهزه مؤامرة الإنجليز في البحرين لعزل الشيخ عيسى ، وهجرة الدواسر إلى المملكة العربية السعودية في حمى الملك عبدالعزيز رحمه الله ، عام ١٣٤١هـ ، فقال :

رحلوا عن الأوطان في طلب العلا ... فاستبدلوا منهن خير رباع
نزلوا بساحة ماجد رحب القنا ... صعب المرام من الأذى مناع
فأووا إلى كهف عظيم شامخ ... صعب المراقي ممرع الأجراع
ملك به عرش الإمامة قد سما ... ورسا وكان عراه قبل تداع
مبسوطتان يداه للعاني وللجاني ... بويل ندى ونار مصاع
فزمانه للمجتدي والمعتدي ... يومان يوم قرى ويوم قراع
ياليت عرب المسلمين وعجمهم ... عقدوا عليه عقدة الإجماع
واستخلفوه فهو خير خليفة ... في نصرة الدين المطهر ساع
لا زال كوكب جوده وسعوده ... ينمو بطيب ندى وحسن شعاع

ونختار للشيخ عبدالله بن علي العبدالقادر ، المتوفى سنة ١٣٤٤هـ ، مقطوعة يصف الطبيعة متمثلة في وردة فيقول :

خليلي ما أبهى وأبهج هذه ... وأبهج منها وردة الوجنات
يقطف هذا بالبنان وإنما ... يقطف ذاك الورد بالشفيات
رعى الله جانيه وإن كان قد ... جنى علي بما أبداه منْ حسراتي
فيا من لقلب لا يزال يشوقه ... بشير الصبا من يوسف الفتيات
يكاد إذا الأشواق أوقدن تحته ... يسيل مع الأرواح كل غداة

أما الشيخ عبدالعزيز بن حمد آل مبارك ، المتوفى سنة ١٣٥٩هـ ، فيذكر بلده الأحساء بعد أن فارقها مدة من الزمن ، فيقول :

بلادي هي الدنيا ومن حل سوحها ... هم الناس كل الناس في البدو والحضر
بلاد كما شاءت نفوس ذوي العلا ... آتت وحوت مالم يكن قط في مصر
فتربتها مسك وسلسل مائها ... نمير ومعتل النسيم بها يبري

وأيسر ما فيها جنان تنظمت   من النخل والأشجار والنبت والزهر
يعلل مسقوم الهوى نفسه بها   لما أشبهته من حلى ربة الخدر
وقد خللتها للعيون جداول   يجعدها مر النسيم الذي يسري
توهمها النظار بيضا صوارما   تعاهد قدما صقلها القين ذو الخبر

أما ماجد بن صالح الخليفي المتوفى عام ١٣٢٤هـ ، فإنه كان فارساً يعشق الخيل ويحب الفروسية ... لذا نراه يفخر :

ولي همة لم ترض بالدون منصبا   وعندي لدى الأهوال عزم غضنفرا
إذا الخطب قالوا من له خلت أنني   دعيت له وحدي فقمت مبادرا

أما أحمد بن يوسف الجابر المولود عام ١٣٢١هـ ، فإنه عندما أحس بالفجوة وقرر الرحيل ؛ قال :

زخارف آمال يعلل ربها   وتداب سيرقل منه حصيله
وسعى على أمثال جداء شارف   إذا امتص خلف حن منه فصيله
علالة آمال أعلل مهجة   تراقب من نجم النحوس أفوله
برغمي شكاة ضيع البؤس سرها   وأظن مظنون الشكاة دخيله
فقد أجهضتني من زماني أزمة   على حين شرخ العمر بان دلوله
تجهمني الأدنى الذي هو عدتي   وباعدني من جل همي وصوله
وأنكرت نفسي بينهم وتنكرت   معارف تستجفي الخليل خليله
وقد كان لي القدح المعلى لديهمو   فقد ظل قدحي بينما أستجيله

ونحن نتحدث عن الأدب في الخليج العربي لا يفوتنا أن نشير إلى شاعر قضى الشطر الكبير من حياته على ضفاف الخليج . وشارك في صنع كثير من الأحداث ، وشاهد العديد من المتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية ، ذلك هو الشاعر محمد ابن عبدالله العثيمين ، المولود بالسلمية عام ١٢٦٤هـ . وقد تلقى تعليمه الأول في الكتاب ثم على أيدي المشايخ خاصة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع ، بعد أن انتقل إلى قطر ... وكان على اتصال دائم بحكام المنطقة ... آل سعود ـ آل خليفة ـ

وآل ثان ... وقد توفي عام ١٣٦٤هـ ، تاركاً وراءه العديد من القصائد ، جمعها الأستاذ سعد بن رويشد تحت عنوان (العقد الثمين) ... ومما قيل عنه أنه لم يقرض الشعر إلا بعد الستين من عمره ... وقد يكون أخفى شعره الذي قاله قبل هذه الفترة ... ولعل الشاعر ابن عثيمين هو أشهر الشعراء وأفضلهم في ميدان المديح بالنسبة لشعراء هذه الفترة ، من حيث قوة المعاني وجزالة الأسلوب وطول النفس ... وهو يسير على نسق الأقدمين في بدء القصيدة بالغزل ... كقوله في مطلع قصيدته التي مدح فيها قاسم بن عبدالله بن ثاني :

نعم هذه أطلال سلمى فسلم   وأرخي بها سيل السجوم وإسحم
وقف في مغانيها وعفر بتربها   صحيفة حر الوجه قبل التندم

ويقول مادحاً الشيخ قاسم :

إذا ما انتدى زواره وضيوفه   تبدى كبدر التم من بين أنجم
يغادون مغشى الرواقين باسما   قبائل شتى من فصيح وأعجم
من معلن شكراً ومن طالب جداً   ومن مستقيل عثرة المتقدم

ومن قصيدته التي يهنىء بها الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عندما فتح الأحساء :

العز والمجد في الهندية القضب   لا في الرسائل والتميق والخطب
تقضي المواضي فيمضي حكمها أمما   إن خالج الشك رأي الحاذق الأرب
وليس يبني العلا إلا ندى ووغى   هما المعارج للأسنى من الريب
ومشمعل أخو عزم يشيعه   قلب صروم إذا ما هم لم يهب
لله طلاب أوتار أعد لها   سيراً حثيثاً بعزم غير مؤتشب
ذاك الإمام الذي كادت عزائمه   تسمو به فوق هام النسرِ والقطب
عبدالعزيز الذي ذلت بطولته   شوس الجبابر من عجم ومن عرب
ليث الليوث أخو الهيجاء مسعرها   السيد المنجب ابن السادة النجب
قوم هم زينة الدنيا وبهجتها   وهم لها عمد ممدودة الطلب
لكن شمس ملوك الأرض قاطبة   عبدالعزيز بلا مَيْن ولا كذب

ومع هذا فهناك الكثير من الشعراء الذين لم أستطع الإشارة إلى حياتهم أو التدليل بشيء من أشعارهم لضيق المقام . ومن هؤلاء : الشاعر خالد العدساني المتوفى سنة ١٣١٦هـ ـ عبدالرحمن بن عبداللطيف الموسى ١٣٣٢هـ ـ عبدالله خلف الدحيان ١٣٦٩هـ ـ عبداللطيف بن إبراهيم آل مبارك المتوفى ١٣٤٣هـ ـ عبداللطيف بن عبدالله آل مبارك المتوفى ١٣٧٢هـ ـ فرح آل عمران الذي اشتهر بنظم الأراجيز ، وله ديوان (الروض الأنيق) ـ وعلي الجشي ـ له (الشواهد المنبرية) . والأستاذ عبدالله بن علي الرائد الذي أصدر جريدة البحرين عام ١٣٤٥هـ .

وهناك من كرس وقته للتأليف مثل : محمد بن عيثان الأحسائي المتوفى سنة ١٣٣٨هـ ، وله رسالة في معاني الحروف ـ عبدالرحمن بن صالح الخليفي مؤلف كتاب (بستان الأكياس) في الأدب ـ محمد بن نمر ، وهو طبيب تعلم الحكمة على يد خليل ميرزا صادق ١٣٤٨هـ ـ علي أبو الحسن الخنيزي ، وله عدة كتب وتوفي سنة ١٣٦٤هـ ـ عبدالله معتوق الناروني ، وله كتاب (سفينة المساكين) في الفلسفة ـ محمد العبدالجبار مؤلف كتاب (الرد على النصارى) وكتاب ـ (تشريح الأفلاك) ، و(شرح خلاصة الحساب) و(شرح إيساغوجي في المنطق) أحمد بن صالح آل طعان ، مؤلف كتاب « سلم الوصول إلى علم الأصول » ، و« إزالة السجف عن موانع الصرف » ، المتوفى سنة ١٣١٥هـ ـ وعلي الستري مؤلف كتاب (لسان الصدق) في الرد على النصارى ، ت ١٣١٥هـ ـ محمد بن عبدالله العبدالقادر ، ت ١٣٩٥هـ ، مؤلف كتاب (تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد) ـ عبدالرحمن بن عبدالله درهم ، مؤلف كتاب (نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار) ـ علي صالح بن علي بن ناصر الحارثي ، ت ١٣١٤هـ . يقول عنه السالمي : « كان أعلم أهل زمانه بالحلال والحرام » ـ سعيد بن حمد بن ناصر الراشدي ، ت ١٣١٤هـ . صنف كتابين (فيض المنان) في الأدب ، و(علم الرشاد) في السلوك ـ محمد بن سيف البوسعيدي ، ت ١٣١٥هـ ـ عبدالله بن حميد السالمي ، مؤلف كتاب « تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان » ـ عبدالله بن علي الراشد مؤسس جريدة البحرين ـ يوسف بن عيسى القناعي ، ت ١٤٠٠هـ ، مؤلف (الملتقطات) ، و« صفحات من تاريخ الكويت » وكتاب « اللغة العربية للمدارس

الابتدائية » عبدالعزيز الرشيد مؤلف كتاب « تاريخ الكويت » ، وشارك في إصدار مجلة الكويتي والعراقي .

وهناك فضلاء وعلماء أجلاء خدموا العلم والمعرفة ، لكنهم لم يتركوا آثاراً من المؤلفات أمثال المشائخ : عبدالله بن عبدالعزيز المبارك ـ على بن عبدالرحمن المبارك ـ عيسى بن عكاس ـ عبدالعزيز بن عكاس ـ عبدالله بن تركي ـ عبدالله الأنصاري ـ عبدالله بن عمر بن دهيش ـ محمود بن حسين بن عرفج ـ أحمد بن على بن عرفج ـ صالح السعد ـ سالم بن حسين الموسى ـ عبداللطيف بن سالم الموسى ـ عبدالله بن زيد آل محمود ـ فالح بن ناصر ... وكلهم مشائخ أجلاء أثابهم الله وغفر لهم وجزاهم خيراً عن الإسلام والمسلمين .

المكان في الشعر الخليجي المعاصر

المكان في الشعر الخليجي المعاصر

المكان في اللغة : الموضع . والجمع : أمكنة ، لقولهم : كن مكانك ، وقم مكانك . والمكانة : المنزلة لدى الرؤساء ، لقولهم : فلان مكين عند فلان(١) ... وقد يقصدون بها : المكانة في القلب ، لقولهم : مكانك القلب . « والمكان » المقصود هنا هو المساحة التي يشغلها الإنسان والحيوان والنبات والجماد من الأرض ، وهي التي يمكنه التنقل منها وإليها ، والارتحال من مكان إلى آخر . وقد يجوز أن يستعمل التنقل استعمالاً مجازياً لقول بعضهم :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول

فالانتقال هنا مجازي لا يصح أن يكون فعلاً واقعاً لأن الفؤاد لا ينتقل من مكان وإنما قد ينقل المشاعر والأحاسيس ... وحيث أن مقصدنا هنا هو المكان الحقيقي المشغول والقابل للإخلاء من الشواغل ؛ فعلينا أن نسير في تعريفه بطريقة أخرى هي : الوطن :

فالوطن هو الذي يعيش فيه كل كائن من الكائنات الحية ولا يريد فراقه ... ولو فارقه لبعض الوقت لتبدلت أحواله وأصابه شيء من التغيير يدل على ما به ... حتى البهيمة والشجرة إذا نقلت من مكانها قد يعتريها بعض التغيير لفترة ... فإما أن تنسجم وتتعايش مع المكان الجديد ، وإما أن تموت ... لذلك يلزم أن نعرّف الوطن في اللغة ... فما هو الوطن ؟

جاء في لسان العرب : الوطن : المنزل نقيم به . وهو موطن الإنسان ومحله ، وأوطن فلان أرض كذا : اتخذها محلا وسكنا ... قال رؤبة :

---

(١) لسان العرب ٦/٤٢٥٠ .

أوطـنـت وطـنـا لـم يكـن من موطـني
لو لـم تكـن عـاملهـا لـم أسـكـن
بـهـــا ولـم أر بـهـــا في الـرجـــى
كـيــمـا تــرى أهـل العــراق أنــني
أوطـنـت أرضـا لـم تكـن من موطـني[1]

وقد جاء في صفته ﷺ أنه كان لا يوطن الأماكن ... أي لا يتخذ لنفسه مجلساً يعرف به ، كما نهى ﷺ عن أن يوطّن الرجل بالمكان في المسجد كما يوطن البعير ... أي : لا يألف مكاناً بعينه في المسجد يصلي فيه .

فالمكان هو الحيز من الأرض بما فيه من ضوء وهواء وحركة وسكون . يشغله شخص أو حيوان أو نبات أو جماد ... فيعرف لكل مكانه لتمكنه وإقامته فيه زمناً قل أو كثر ... فمكاني غير مكانك ، ومكاننا غير أمكنة الآخرين من حولنا ... فلكل مكانه الذي تمكن منه وأقام به . وهو غير محدد بحدود معينة ، وليس له مساحة مقررة ، لأن ذلك خاضع لعامل الظرف المكاني ... فقد يكون مقعداً وقد يكون غرفة ، وقد يكون قصراً وقد يكون إقطاعا من الأرض مترامي الأطراف غير محدد المساحة .

والوطن : موقف الحرب . لقوله تعالى : ﴿ **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة** ﴾ ... ووطنت النفس على شيء أي : حملتها عليه فتحملته[2] ... ومنه توطين النفس على مكان بعينه لاتخاذه وطنًا ... يقول الشاعر :

وطـنـي لو شـغـلـت بالـخـلـد عـنـه   نازعتني إليـه في الخـلـد نـفـسي[3]

والوطن هو المكان ... ثم يتسع ليغدو البيت والأسرة ... ثم تتسع دائرته حتى يشمل الحي كله ... ثم تتسع الدائرة ليشمل القرية أو المدينة أو الدولة ، إلى أن يصل بشموليته للوطن كله :

---

(١) لسان العرب ٤٢٥١/٦ .

(٢) لسان العرب ٤٨٦٨/٦ .

(٣) لأمير الشعراء أحمد شوقي .

فلا نزلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلاد[1]

إذاً ... فالوطن يبتدىء من البيت ... من الأسرة[2] :

منازلُ مَن أهوى على القرب والنوى ولا خير في ود يغيره البعد
مغناي أحبابي الذين تبوأوا سويداء قلبي قبل أن يعرف الود
هواهم حياتي وهو أقوم حجتي فلا ميل عنهم واصلوني أوصدوا
كفاني هواهم مفخراً وذخيرة وقد فاز مرضى لديهم كمن ودوا
أهيم غراماً واشتياقاً لذكرهم إذا لامني في هواهم جاهل وغد
موالي أهلي هم على السخط والرضى ويأبى الموالي أن يضيع لهم عبد
منازلهم لي مستجار ووقفة بأطلال مغناهم هي الغنم والسعد
سقى الله هاتيك المنازل والربى عهاد رباب الشول جلجلة الرعد

وأحياناً يكون مفهوم المكان أعم وأشمل لينتظم الحي كله ... فالشيخ عبدالعزيز بن حمد آل مبارك لا يكتفي بذكر الهفوف كمدينة ... بل يخص من الهفوف حياً بعينه هو حي الرفعة[3] :

يا راكبا خل الأراكة يمنة وجز الفلاة وجز سلاماً مسرعاً
وإذا وصلت الهفوف فبلغن عني التحية ساكنيه أجمعا
واعدل لريع (الرفعة) الغرا وقف في سواحلها متذللاً متخضعا
واقر السلام بدور ثم أوطنوا عرصاته فغدا بهم مترفعاً

وعن حي الصالحية نجد الشاعر يشيد بهذا الحي منذ بداية تأسيسه منوها بفضائل الساعين فيه من آل مبارك[4] :

لقد أسست هذي المنازل بالتقى وقام بها داعي الفلاح إلى الرشد
أشاد بها من بعد ما شاد للعلا كرام لهم عزم الضواري من الأسد

---

(١) ينسب هذا البيت لأبي العلاء المعري .
(٢) السيد عبدالجليل الطباطبائي ـ شعراء الكويت في قرنين ١/٥٢ .
(٣) (٤) شعراء هجر /٨٣ .

لقد أسست بالعلم والحلم والحجا مقدسة عما يشين وما يردي
أشيدت لعين الدين والعلم قرة لتاج العلا بحر العلوم مني الوفد

ولما كان حي الكوت بالهفوف هو مركز الإدارة الحكومية ، وفيه يجتمع العلماء من آل الملا وآل عمير وآل جعفري ، يؤمه الطلاب من كل حدب وصوب ، يقيمون في أربطته ، وينهلون العلم من مدارسه ... وكان الشيخ عبدالله بن علي العبدالقادر واحداً ممن تلقوا العلم على يد الشيخ عبدالله بن أبي بكر الملا ، فقد قال عن الكوت :

هو مركز الأحساء إليه المنتهى في الدين والدنيا ودع من حرفا
قطب تدور عليه أسرار الألى شربوا من الكأس اللدني ما حيفا
وبه لقلبي معهد أشتاقه ما زاغ قلبي عن هواه وما اكتفى
يارب وقت مر لي في ظله ما كان سيقابل نعيماً قد صفا[١]
ما هبت الأرواح من تلقائه إلا شكوت لها فأعطتني شفا

ومن النماذج السابقة نجد أن هناك خصوصية في المكان استهدفت الجزء الذي يحن إليه الشاعر إما لذكرياته ... أو لوجود أسرته ... أو لأنه محل إقامته ... أو إقامة من يحب ... ولا شك أن مدح الجزء في خصوصيته هو مدح للكل في عمومه .

ومع ذلك لم يقف شعراء الخليج المعاصرون عند تلك الحدود الضيقة ... بل انطلقوا يتحدثون عن المدن ككل ... المدينة بما تحويه من طرق وساحات وأحياء وأسواق هي شوقهم وهي وطنهم ... لذلك لا يستطيعون تخصيص جزء اختلط بغيره ... ولا حي تداخل مع مجاوريه من الأحياء ... فأصبح الواحد منهم إذا عنت له ذكريات وجد صداها في مدينته التي بها مسقط رأسه ... أو في المدينة التي زارها وأقام بها ردحاً من الزمن ... أو في المدينة تردد عليها بالزيارة حتى ألفها فاحتلت حيزاً من تفكيره فانطلقت قيثارته تترنم بذكر هذه المدينة أو تلك ... وها هو أحد المشتاقين إلى مدينة (تاروت) يجعل منها أغنية عذبة .

---

(١) شعراء هجر ٢٢٥ .

عفو الصبا ـ تاروت ـ عفو الصبا ما أجمل الذكرى وما أعذبا
ماذا تصبي فيك رب الهوى فاختار دنياك له ملعبا
حسانك اللائي يرشن إليها سهماً لذيذ الجرح مستعذباً
أم شطك الحالم مستضحكاً وموجك المضياف معشوشباً
على روابيه ترف الرؤى سكرى ويستلقي الندى متعباً
وفي سواقيه يهيم الشذي ويمرح الضوء وتلهو الصبا
ما طاف باخوس بأكوابه في موطن أصبى ولا أخلبا
ولا احتوى (كيبوس) في صدره لؤلؤة أغلى ولا أطيبا[1]

وهذا شاعر يخاطب مدينته التي غادرها منذ زمن ثم عاد إليها زائراً فرأى ملامح التغيير والتبديل فوقف مبهوراً من ذلك التغيير ومتذكراً مسقط رأسه (الجبيل)[2] .

وقفت أسأل عن دار ولدت بها وقد رسمت بها أحلى أفانيني
درجت بين رباها وهي تنفحني بالشوق يجري ندياً في شراييني
غنيتها الشعر في قلبي وصغت لها عقداً تتيه به كالخرد العين

أما مدينة الخبر الحالمة على ضفاف الخليج فإنها تجد من يهتم بتطورها منذ بدايتها الأولى :

حدث به خبراً عن الخبر كم فيه للألباب من عبر
لله في تدبيره حكم دقت خفاياها عن الفكر
الشمس تطلع كلما غربت لترى جديداً محدث الصور[3]

ثم يأتي شاعر آخر هو أحمد بن عبدالله الهاشم ، يرحمه الله فيصور هيامه بها :

(١) السيد عدنان العوامي ـ مخطوطة لدى المؤلف .
(٢) في موكب الفجر ، عبدالرحمن العبيد ص ٦٦ .
(٣) ديوان خالد الفرج ، ط الكويت ، ٢٦٩ .

مدينتي روضة الأحلام يحضنها بحر الخليج شمال البر من قطر
حاذت أوال بشط الغرب دانية عشرين ميلا كما قامت على قدر
مدينتي جمعت حسن البلاد فما ضاقت بضعف ولا هانت لمقتدر
الكل في دوحها يسمو بخلته ويستنير بحسن الخلق والصور(١)

ومن الخبر إلى الدمام حيث نجد من يطبع قبلة على ثغر ذلك الثغر الباسم :

عانقي البحر ونامي في ذراعيه رضيه
لا تخافي منه فالعاشق لا يقوى على فعل أذيه
يترضاك ... خذي منه كما شئت هديه
يا عروسا ... قبل البحر حنانا ... شفتيها
وانحنى يغسل في حب ووجد ... قدميها
ترقص الأضواء في مرفأ عينيك.. وتلقي معطفيها
وتناجيك عناقا ... أنت منها وإليها(٢)

أما الرياض ... رياض العرب ... فقد حظيت بالكثير الكثير من تأوهات الشعراء وأشواقهم إلى حد أن أحدهم اتخذ من الرياض رمزاً لمحبوبته :

كأنك أنت الرياض ... بأبعادها ... بانسكاب الصحاري على قدميها
وما تنقش الريح في وجنتيها
وترحيبها بالغريب الجريح على شاطئيها
وطعم الغبار على شفتيها
أحبك حبي جبين الرياض ... تظل تلفعه الكبرياء
أحبك حبي عيون الرياض .. يغالب فيها الحنين الحياء
أحبك حبي دروب الرياض ... عناء الرياض ... صغار الرياض (٣)

---

(١) من مخطوطة لدى المؤلف .

(٢) الشاعر محمد حسن قجة ـ مجلة القافلة ، ربيع الثاني ١٤٠٧هـ .

(٣) غازي القصيبي ـ أنت الرياض ـ المجموعة ص ٤٧٦ .

وقد سبق هؤلاء جميعاً الشاعر الذي تغنى بمدينته قبل نصف قرن حيث قال :

وجدنا كل هجر مستقراً ولكن لم نجد مثل المبرز
كأن مكانها من أرض هجر طراز لاح من ثوب مطرز
جرت من تحتها الأنهار حتى حسبناها من الجنات مفرز
على أني أرى للكوت فضلاً على الباقي لهذا صار مركز(1)

ومن المبرز ينتقل هذا الشعور بأهمية المكان في حياة الإنسان ومكانته من قلبه إلى المنامة ... المدينة اللعوب التي منذ أن وجدت وهي تستحم في مياه الخليج :

الضوء لاح فديت ضوءك في السواحل يا منامه
فوق الخليج أراك زاهية الملامح كابتسامة
المرفأ الغافي وهمسته يهنأ بالسلامة
ونداء مئذنة مضوأة ترفرف كالحمامة
يا موطني ذا زورقي أوفى عليك فخذ زمامه(2)

ويخرج الشاعر من البحر ليجد نفسه بين واحات النخيل ورمال الصحراء والينابيع الجارية ... فإذا المدن القديمة تسكن وجدانه ... وإذا ذكريات الطفولة يتردد صداها بين عقله وقلبه ... نبضات عذبة ... وذكريات أعذب ... فماذا سيجد الشاعر هناك ... ؟ إنه سيجد في كل شبر منها وفي كل زاوية شيئاً جديداً كأنه يراه لأول مرة :

هفوف يا أملي الغالي ويا حلمي أفديك قلبي به الأشواق ملتهباً
هناك مرتع أترابي ومنتزهي هناك مجمع السمار والأدبا
هفوف مبعث إلهامي بها نبضت قصائدي كلمات والفؤاد صبا
ويتم الحب صبا قد أقام بها حينا فذاب من الأشواق مغتربا(3)

---

(1) عبدالله على العبدالقادر ـ شعراء هجر ٢٢٤ .
(2) د. غازي القصيبي ـ المجموعة ص ١٤ .
(3) يوسف أبو سعد ـ أغاريد من واحة النخيل ٥٤ـ٥٥ .

وتمشياً مع حركة التطور ... واستمرار حركة العمران وسهولة الانتقال من مكان إلى مكان لم يعد المكان هو ذلك الحيز الصغير المحصور بين جدران المنزل وأقطاب الأسرة ... ولم يعد ذلك الحي المميز من أحياء المدينة ... بل حتى المدينة والبلدة لم تعد هي المكان الذي يسع الشاعر بما تنطوي عليه جوانحه من أشواق وآمال وتطلعات ... لقد تمددت تلك الأشواق واتسعت رقعة اللهفة لتحتل مساحة أكبر ، وتعبر عن شعور أعمق وأعم من تلك الخصوصية التي كرسها بعض الشعراء ... فهنا يتحدث الشاعر عن البحرين كبلد ومدينة ومنطقة ودولة وجزر تستحم في مياه الخليج :

بحر وأشرعة ونخل ناضر ... يعيا الخيال بها ويعيا الناظر
وشواطىء وشي الجمال رمالها ... فإذا الضفاف بها شذى وأزاهر
أرض تعزى الحسن فوق شعابها ... حتى استبان وما عليه ستائر
تتعانق الأحلام فوق ضبابها ... فجرا فيسبح في سناها الخاطر
وإذا رأيت قبابها تحت السنى ... شاهدت أحلى ما يروق الشاعر
تبدو إلى الرائي لجينا سائلاً ... فكأنما سحراً دحاها ساحر
وإذا الربيع أتى رأيت هضابها ... مجلوة يحتار فيها الناظر
حيث المروج الخضر يعبق طيبها ... فجراً فيسرقها النسيم العابر
ويبثها للعاشقين على الربى ... فتفوح منها في السفوح مجامر(١)

لكن شاعراً آخر ، تسكن « عُمان » في وجدانه لا يتمالك نفسه من أن يشير إلى موطنه حينما يغفو على ترابه وفي ظلال نخيله ... فماذا يرى ؟

إذا ما رأتها العين نامت قريرة ... لنغمة غريد وروضة شاد
مطرزة بالورد والفل أرضها ... كثوب عروس نمقته أياد
يضيء سناها الأفق مثل زجاجة ... بكوكب درّي بجنة عاد
إذا الريح هبت من خلال نخيلها ... طربت لها حبا وطاب رقادي

---

(١) محمد أحمد الخليفة ـ العمر والنخيل ص ٥٦ .

وإن شقشق العصفور فوق شجيرة ... سرت في جناني فرحة وفؤادي
وإن هي وافاها الربيع تزيناً ... بثوب من الأزهار أزهر نادي[1]

إلا أن « زكية مال الله » عندما تتحدث عن « قطر » فإنها تتحدث بشوق مليء باللهفة :

مررت بقلبي ... فأورقت فيه الهوى والحنين
وضعت العطور اشتياقي وحبي ... وأودعت عطري ... شذى الياسمين
غزلتك في مقلتي حناناً ... وأسدلت فيض الحنان الجفون ...
لعلي ألملم فيك اشتياقي ... وأغفر ماضي الأسى والشجون ...
بلادي أحبك نسمة صيف ... تمر بروحي ولا تحتضر ...
ولا زلت أنت الظلال لروحي ... وغيرك لا أرتجي لي مقر[2]

وتأخذ القطيف من الشاعر عبدالله الجشي كل المسافات والأمكنة ... فلا عجب أن أصبح صبا مستهاماً مجنوناً بها كمجنون ليلى :

فلا عجبا أما جننت بحبها ... وهل طاب طعم الحب إلا لمجنون
بلادي فراديس تمد مروجها ... على ألف نبع ثائر كالبراكين
وتسبح في بحرين بحر لآليء ... وبحر من البترول في الرمل مخزون
بها للصبا واللهو والشعر مرتع ... وفيها معاش ناعم للملايين
بلادي بلاد الشعر والعطر والهوى ... ومجلي للآليء والينابيع والتين
صعيد بلادي واحة جنب واحة ... وبحر بلادي حاضن ألف دارين[3]

ويعبر الشاعر يعقوب عبدالعزيز الرشيد عن اشتياقه لمسقط رأسه ومرتع صباه (الكويت) ... بعد أن أخذته الغربة ردحاً من الزمن للدراسة ثم للعمل سفيراً لبلاده في الخارج ، فيدرك أنها أحب مكان إلى قلبه :

---

(١) محمود الحضيبي ـ شقائق النعمان ١٠٤/٢ .

(٢) زكية مال الله ـ ألوان من الحب ١٦ـ١٧ :

(٣) مجلة العرب ، ج العام ١٣٨٣هـ ص ١٠٧ .

إنهـا موئـلـي الحـبـيـب وإنـي ... في اغـتـراب يـشـقـى عليه مـرادي
عـشـت فـيـهـا كـمـا أراد وفـائـي ... واعـتــزازي بـمـا لـهـا مـن أيــاد
أيـن فـيـض الهـنـاء أيـن الـنـدامـى ... أيـن شمل الأحباب أيـن الـنـادي ؟
كم لـيـال جـنـيـت ما شـئـت فـيـهـا ... وهـواهـا أشـهـى أغـاني فـؤادي[1]

وليس شرطاً أن يكون ذلك المكان هو الحيز المحدود في بيت من البيوت ... أو حي من الأحياء ... كما ليس من الضرورة أن يكون في قرية أو مدينة تحف به الأسواق والشوارع والميادين ... بل قد يكون في ظل خميلة بأحد الحقول أو بإحدى الغابات تحف به الأشجار ، وتشدو فوقه الأطيار :

قـم إلى الحقل ... اطرح القيد وانهض لحياة مملوءة بالسرور
قـم إلى الصبح ... فهو في الروضة الغناء يحبو على بساط الزهور
انهب العيش واللذائذ في الحقل فما أنت غير ظل قصير[2]

أو قد يكون في الصحراء المترامية يمثل ربوة من رباها أو وهدة من وهادها ... يرنو إلى بيدائها ، ويداعب سوافي الرمال فيها ، ويرى فيها كنوزاً لا تعادلها كنوز الذهب والفضة ... ففيها المكان اللامحدود ... حيث تترامى رؤى النظر إلى البعيد فلا يقف إلا عند الأفق الذي لا حدود له :

يـا كـنـوز الرمـال ... بل يـا سـحـابا ... يسكن الأرض بل يا مـدى لا يحـد
أمطـرت أرضـك الـقـديـمـة نـاراً ... وعـجـيـب أن يـطـفـيء الوقـد وقـد
وعـجـيـب تـجـاوز الحـجـر الـسـاكـن ... مـعـنـاه مـثـل مـن يـسـتـجـد
خـلـعـت شـكـلـهـا الـقـديـم صـحـاراك ... الـقـدامـى وبـدل الجـلـد جـلـد[3]

لكن الصحراء لا تتغير ولا تتلون ... بل تظل محتفظة بسماتها ... أسرارها التي أودعها الله محتفظة بنقائها وطهرها وبكارتها العذراء التي لم يدنسها ما دنس

(١) دروب الفجر ، ص ٢٧٦ .
(٢) محمد سعيد الخنيزي ـ شمس بلا أفق ، ص ٧٤ .
(٣) محمد الفايز ـ حداء الهودج ، ص ٢٠ .

المدن والقرى من أوشاب الحياة المتلوثة بما فيها من كذب ونفاق ومجاملات مقيتة تفرضها المصالح الشخصية ... لأن الصحراء تظل رمز النقاء والصدق والصراحة :

وطفت الأرض لم أعثر على أجدب من أرضك
على أطهر من حبك ... على أعنف من بغضك
وعدت إليك ... ألقيت بمرساتي ... على الرمل
غسلت الوجه بالطل ...
كأنك عندها ناديتني ... وهمست في أذني
رجعت إلي يا طفلي !
أجل أماه عدت إليك ... طفل دائم الحزن
تغرب في بلاد الله ... لم يعثر على وكره
وعاد اليوم يبحث فيك عن عزه[(١)]

وقد يكون المكان على خشبة طافية في مياه الخليج :

إيه يا ماء الخليج
كم شربنا ماءك المالح
ورمال الأرض صخر ولهيب
فوق جمر يكتوي فيه السموم
وسمعنا آهة النهام أعيتها جبال من هموم
خلف أفق يحجب الحزن صبايا
عن دموع النائبات ...
عن شط قد تركناه شهوراً
كم مكثنا فوق جنح الماء ما بين رجاء ورجاء
وظلام دامس الأرجاء يغتال الضياء
ونمر ليس لنا غير التمني والغناء[(٢)]

(١) د. غازي القصيبي ــ معركة بلا راية .

(٢) مبارك بن سيف آل ثاني ــ الليل والضفاف ، ٤٢ .

وقد يكون المكان أقل من هذا ... وقد يكون كل المساحات التي يشغلها الإنسان بحركته الدائبة وتطلعاته المستقبلية وآماله ورؤاه المتجددة ... لكنه في الواقع ليس له من كل هذا سوى الحيز الذي يضم إهابه ما دام حياً ... فإذا مات فليس له سوى ذلك الجدث الذي يضم رفاته ... والذي قد تتعاقب عليه أجيال وأجيال من أبناء الحياة الذين تنطفىء فيهم الجذوة وتستلب منهم كل قدرة ، بعد أن تلتف الساق بالساق . ﴿ **وظن أنه الفراق** ﴾[1] ، ﴿ **إلى ربك يومئذ المساق** ﴾ .[2]

وقد يتحول ذلك الجدث يوماً إلى خميلة مزهرة ... أو قاعدة من عمارة ... أو ممر تدوسه الأقدام في الليل والنهار ، دون تفكير في ساكنيه ... فيخلو المكان من الإنسان ... ويستلب الإنسان كل مكان فلا مكان إلا في ظل الرحمن ... وهو المكان الذي تحدده صحيفة الأعمال بعد أن يحدث الزلزال قال تعالى :

﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها • وأخرجت الأرض أثقالها • وقال الإنسان ما لها • يومئذ تحدث أخبارها • بأن ربك أوحى لها • يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليُروا أعمالهم • فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره • ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ [3] .

صدق الله العظيم

---

(١) سورة القيامة ، الآية ٢٨ .

(٢) سورة القيامة ، الآية ٣٠ .

(٣) سورة الزلزلة .

الحياة الفكرية بالأحساء منذ أقدم العصور

الحياة الفكرية بالأحساء منذ أقدم العصور

من الثابت أن الفينيقيين قد سكنوا هذه المنطقة ... كما سكنها الكلدانيون ، وقبلهم العمالقة ... ثم زحفت على أطرافها هجرات من معين وسبأ ... وأخيراً نزح إليها أصل العرب من أولاد معد بن عدنان ... فكانت موطناً لبكر بن وائل ... وتميم ... وعبدالقيس ... وكل فرع من هذه الفروع جلب معه تقاليده وعاداته وثقافته ... فإن الفينيقيين هم أول من اخترع الأحرف الهجائية ، وأول من وضع نظام الكتابة .

فإذا تجاوزنا حضارة الجرهائيين ـ الذين غزاهم الملك الروماني انطيوخس الثالث فصالحوه ورجع عن غزوهم ، ما بين ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ق.م ، كما سجل ذلك استرابون ، وأشاد بمدينة جرهاء ، والتي تحولت فيما بعد إلى جرعاء ـ فإن التاريخ يقودنا إلى قبيلة طسم وجديس ـ العمالقة ـ الذين استوطنوا هذه المنطقة (ما بين اليمامة إلى الأحساء) . ثم يأخذنا التاريخ إلى الفترة التي سجلها المؤرخون بعد ذلك وهي فترة القبائل العدنانية قبل الإسلام .

أما سكانها العرب فقد حاولوا أن يستغلوا المواسم ... وينشروا تراثهم بواسطة الأسواق ... ولما كانت البلاد العربية المحيطة بهم ذات أسواق مشهورة فقد رأوا أن مكانة بلادهم وما تزخر به من خيرات وثروات طبيعية ولما لموقعها الجغرافي من أهمية ... رأوا أن ذلك يستحق أن تقام من أجله الأسواق التي يجتمع بها عامة العرب من ساداتها ورعائها ... فرسانها وشعرائها ... يجترون ويعرفون الأخبار ... وينشرون الدعاية ... على ألسنة الشعراء ... يتناحرون يتحاربون ... وقد حفظ لنا التاريخ الأدبي الشيء الكثير عن هذه الأسواق وسجل ما قيل فيها من أشعار ... وسوف تمر بالباحث والقارىء أشعار موغلة في القدم لا يعرف قائلها ... ولا أين ومتى قيل ذلك الشعر لكنه لو رد الشيء إلى جذوره التاريخية فسوف تتضح له الصورة .

ونتيجة لذلك فإن عدداً كبيراً من الشعراء تبرز أسماؤهم في فترة ما قبل الإسلام وتلك فترة اختلطت فيها البحرين وهجر واليمامة ... فتارة يطلق عليها اسم البحرين ... وتارة هجر . ومرة تكون تابعة لليمامة ، ومرة أخرى تكون اليمامة تابعة لها ... فإذا ورد اسم شاعر من الشعراء نقف أمامه لنتساءل هل هو من البحرين عامة أو هو من البحرين أوال ... أم من هجر البحرين ... أم من الخط ... أم أنه يمامي نزح إلى هجر ؟ فلا نكاد نرى إجابة شافية لكل هذه التساؤلات اللهم إلا بصيص أمل يمشي مع نسب الشاعر ... فإذا علمنا من أي القبائل هو وعرفنا أين تقيم تلك القبيلة أمكننا تحويله لنسبة ذلك الشاعر ... لكن يبرز أمامنا سؤال ألا يجوز أن ذلك الشاعر ينتمي إلى تلك القبيلة فعلاً لكنه من فرع قد نزح إلى كاظم ـ أو العراق ـ أو اليمامة فكيف نحدده ؟ والجواب أننا فعلا لا نستطيع أن نعطي ذلك التحديد الدقيق كما لا نستطيع أن نضيف أي شاعر من عبدالقيس أو تميم أو بكر بن وائل إلى هذه المنطقة ... كما لا نستطيع استضافة أي شاعر أو رد أي اسم من أسماء الأمكنة المعروفة ... لكنا هنا سنعرض في إلمامة بسيطة لبعض من ورد ذكرهم ... تاركين الحكم للقارىء ... وسنكتفي بالحديث عن شخصية واحدة . من بكر بن وائل ... ثم من عبدالقيس ... تغنى بشواطىء الخليج ووصف السفن ... رحل إلى العراق لكنه عاد إلى هجر ليلقى مصرعه على يدي حاكمها .

وبعد ذلك نترك الحكم للقارىء ... فهو وحده الذي يقرر ما يراه مناسباً ولعل أقرب ما يتراءى لي أن القارىء سيطوي هذا الكتاب ويلقي به في إحدى زوايا النسيان .

عمرو بن قميئة :

من قيس بن تغلبة بن مالك من أقدم الشعراء الجاهليين ـ كان رفيقاً للشاعر امرىء القيس بن حجر في رحلته إلى بلاد الروم ... وهو الذي يقول عنه امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عيناك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وقد جاوز التسعين عاماً حيث يقول :

كأني وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها يوماً عذار لجام

وله قصائد مذكورة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ... وخزانة الأدب للبغدادي ... وقد أورد الشيخ محمد العبدالقادر في تحفة المستفيد عدداً من القصائد الجيدة كقوله :

لهف نفسي على الشباب ولم أفقد به إذا فقدته أمما
قد كنت في ميعة أسربها أمنع ضيمي وأهبط العصما
وأسحب الربط والبرود إلى أدنى تجاري وأنغض اللمما
لا تغبط المرء أن يقال له أمسى فإن لعمره حكماً
إن سره طول عيشه فلقد أضحى على الوجه طول ما سلما
إن من القوم من يعاش به ومنهم من ترى به وصما

المتلمس :

اسمه جرير بن عبدالمسيح بن ربيعة ... وقد ذكره ابن خلكان مفصل النسب ... سمي المتلمس لقوله :

فهذا أو أن العرض طن ذبابه زنابيره والأزرق المتلمس

وقد قيل أنه خال طرفة بن العبد ... وقيل أنه هجا عمرو بن هند واحتال في قتله هو وطرفة فنجا وهرب إلى الشام ... وهو شاعر مقل من أصحاب المنتقيات – ومن جيد شعره قوله :

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا من حيلة فتقوَما
لذى الحلم قبل اليوم ما تفزع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

وقوله عن المال :

وأعلم علم حق غير ظن وتقوى الله من خير العتاد
لحفظ المال خير من فناه وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

أما قصيدته المنتقاة والتي عدها النقاد من عيون الشعر فيقول فيها :

كم دون مية من مستعمل قذف ومن فلاة بها تستعمل العيس
من ذرى عالم طام مناهله كأنه في حباب الماء مغموس
جاوزته بأمون ذات معجمة تهوى مكلكلها والرأس منكوس
يا آل بكر إلا الله دركم طال الثواء وثوب العجز ملبوس

المثقب العبدي :

واسمه عائذ بن محصن توفي سنة ٧هـ كان من الشعراء المجيدين وله أشعار حكيمة تناقلها النقاد منها قوله :

فإما أن تكون أخي بحق ... فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني ... عدواً أتقيك وتتقيني
فما أدري إذا يممت أمراً ... أريد الخير أيهما يليني
الخير الذي أنا أبتغيه ... أم الشر الذي هو يبتغيني

وقوله :

لا تقولن إذا ما لم ترد ... أن تتم الوعد في شيء نعم
حسن قول نعم من بعد لا ... وقبيح قول لا بعد نعم
إن لا بعد نعم فاحشة ... فبلا فابدأ إذا خفت الندم
وإذا قلت نعم فاصبر لها ... بنجاز الوعد إن الخلف ذم
واعلم أن الذم نقص للفتى ... ومن لا يتقي الذم يُذم

ومن أشعاره الجيدة قوله :

ظللت أروي العين من عبراتها ... إذا نزفت كانت سراعاً جمومها
كأني أقاسي من سوابق عبرة ... ومن ليلة ضاقت بصدري همومها
فبت أضم الركبتين إلى الحشا ... كأني راقي حية أو سليمها

طـرفـة بـن العــبـد :

يجمع النقاد ومؤرخو الأدب بأن طرفة بن العبد هو الشمعة المضيئة في دنيا الأدب وقد عده ابن سلام في الطبقة الرابعة من الشعراء الجاهليين ... كما أن معلقته تعد المعلقة الجامعة التي جمع فيها بين الوصف والغزل ... بين حياة البادية وحياة المدينة ... صورة الصحراء أعمالها وقسوتها ... وصورة البحر بسيفه وسفنه وصواريه وشواطئه الرملية .

وهو طرفة ـ بن العبد بن سفيان بن مالك ـ قتل قبل الهجرة بثلاثين عاماً في عهد عمرو بن هند ملك العراق ... وقد اختلف المؤرخون في سبب قتله وأوردوا لذلك قصصاً وحكايات .

وقد جمعت أشعاره في ديوان مطبوع ، إلا أن معلقته تظل هي غرة أشعاره وأشهرها والتي يقول فيها :

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن … مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعى ربربا بخميلة … تناول أطراف البرير وترتدي
وتبسم عن المحيا كأن منوراً … تخلل حر الرمل وعصى له ندي
سقته أباة الشمس إلا لقاءه … أسف ولم تكمد عليه بإثمد
ووجه كأن الشمس ألقت رداءها … عليه نقي اللون لم يتخدد

ومنها :

أرى الموت يغتال الكرام ويصطفي … عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة … وما تنقص الأيام والدهر ينفد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى … لكا لطول المرضي وثنياه باليد

ويقول في ختامها :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً … ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له … بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد

الأدب الإسلامي

الأدب الإســـلامــي

إن الإسلام بمبادئه الرائعة ... وقوانينه الأخلاقية المتميزة ... أوجد لدى الناس سواء المسلمين أو غير المسلمين أخلاقيات في المعاملة ... وفي التعبير ... وفي الحياة عامة تتسم بالابتعاد عن السفه ... والإسفاف والعهر في القول أو العمل ... ولما كان الأدب هو معيار التعبير عن حقيقة الأمة فقد عبر المسلمون عن مشاعرهم بعد دخولهم في الإسلام أصدق تعبير ... وصوروا حياتهم الجديدة أدق تصوير . وجاءت تعابيرهم وألفاظهم متناسقة تماماً مع أدب الإسلام لقول الصادق المصدوق ﷺ : (**أدبني ربي فأحسن تأديبي**) فإن الإسلام أدب المسلمين فأحسن تأديبهم فصاروا يتنزهون ويترفعون عن فاحش القول ... وشتم الأعراض والمفاخرات الجاهلية التي كانت تثير الحمية وتسبب الصدام بين القبائل ... بل شعر المسلمون أنهم أخوة في الله يسعون إلى غاية واحدة وينهجون نهجاً واحداً هو منهج الإسلام ... وحدوده ... يقول الجارود :

يا نبي الهدي أتتك رجال ... قطعت فدفدا والأفالا
نحو نور من الله وبرهان ... وبر ونعمة أن تقالاً

وقول عبدالله بن حذف :

النخل باطنها خيل وظاهرها ... خيل تكدس في البنيان كالنعم
وإن ذا الحي من بكر وإن كثروا ... لأمة داخلون النار في أمم

ففي البيتين الأولين يشير الجارود إلى الهدف الذي سعى من أجله الناس إلى لقاء الرسول الكريم ﷺ ... وفي الأخيرين يشير ابن حذف إلى أن بكر سيدخلون النار أسوة بغيرهم من الكفار لأنهم كذبوا وعصوا وارتدوا بعد ما آمنوا ... ولم يعيرهم بشيء آخر من عيوب الجاهلية ولكن الكفر أفجع العيوب ... وممن يفخر بإسلامه

الشاعر عيسى بن عاتك الخطي حيث يقول بعد أن نسب إلى أمه دون أبيه :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا فخروا ببكر أو تميم
كلا الحيين ينصر مدعيه ليلحقه بذي الحسب الصميم
وما حسب ولو كرمت عروق ولكن التقي هو الكريم

ثم عرو بن سوي ـ وكعب بن عودين ـ والأعور الشني القائل :

لقد أصبحت لا أحتاج فيما بلوت من الأموال إلى سؤال
وذلك أنني أدبت نفسي وما حلت الرجال ذوي المحال

وقد سجلت المعاجم أسماء العديد كخليد عنين ... وعرو بن مبردة ... ومحمد بن شامة وعين الأعلى الصامت ... ولعل في حديث الوفود إلى رسول الله ﷺ خير صورة للأدب الإسلامي .

وكان الجارود بن المعلي بن حسن العبدي نصرانياً حسن المعرفة فلما بلغته دعوة الرسول ﷺ أسلم ... ثم توجه في وفد إلى المدينة المنورة سنة ٩ هـ ... فلما وقف بين يدي رسول الله ﷺ أنشده :

خصك الله يا بن آمنة الخير بها إذا آتتك سجالاً سجالاً
فاجعل الحظ منك يا حجة الله جزيلا لاحظ خلف أحالا

فأدناه الرسول ﷺ من مجلسه وقال : يا جارود قد تأخر الموعود بك وبقومك ... فقال : فداك أبي وأمي ... إن من تأخر فقد فاته حظه وتلك أعظم عقوبة ... وإني الآن على دين قد جئتك به ... وهأنا أشاركه لدينك أفد لك مما يمحص الذنوب ويرضي الرب عن المربوب ؟

فقال ﷺ أنا ضامن لك ذلك وأخلص الآن لله الوحدانية ودع عنك دين النصرانية فمد يده إلى الرسول ﷺ هو ومن معه فسر بهم الرسول ﷺ وأظهر من إكرامهم ما سروا به وابتهجوا منه فقال الجارود :

شهدت بأن الله حق وأسلمت فيات فؤادي بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله مني رسالة بأني حنيف حيث كنت من الأرض

ولقد ذكر في كتب التاريخ والسير الكثير من رجال عبدالقيس ممن كان لهم شرف صحبة الرسول الكريم ﷺ أو اتبع صحابته فذكر في كتاب الإصابة أسماء ثلاثة وثلاثين رجلاً كان لهم شرف الصحبة ... ورواية الحديث منهم : عمرو بن تغلب العبدي ـ ومعبد بن وهب العصري ـ وذكر في كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال لمؤلفه صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي ـ الحضرمي ابن العميلان التابعين الذين رووا الحديث عن الصحابة ... إبراهيم بن مسلم الهجري ـ الحضرمي بن العميلان حوست بن عقل / أبو دجينة الهجري / خلاس بن عمرو / ابن الأعرابي الهجري / زياد بن سلمان العبدي / زيد بن علي أبو القلوسي / سليمان ابن جابر الهجري / عبدالحميد بن المنذر / عثمان الجهم / الزبير بن جنادة / مهدي ابن حرب .

ولما بلغ أهل البحرين موت رسول الله ﷺ وارتداد بعض القبائل ارتدت قبائل بكر بن وائل ... أما عبدالقيس فقد جمعهم الجارود وخطب فيهم ... وقال : أتعلمون أنبياء الله قبل محمد ؟ قالوا نعم ... قال : فما فعلوا : ؟ قالوا ماتوا قال : فإن محمداً مثلهم عاش كما عاشوا ومات كما ماتوا ... وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الله بعث محمداً ونعي إليه نفسه فقال تعالى : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ ... ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ فلم يرتد من عبدالقيس أحد وتحصنوا بجواثاً ... إلا أن المرتدين لم يرضهم هذا ... فاجتمعوا على الحطم من ضبيعة وأمرهم الغرور بن سويد ابن المنذر فجاء من الحيرة ونزل بين هجر والقطيف طمعاً في ملك البحرين وأقبل إلى جواثاً فحاصروهم وطال حصارهم لها ... فكتب المسلمون رسالة إلى أبي بكر الصديق يستنجدونه وكان بها أبيات لعبد الله بن حذف منها :

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً   وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام   قعود في جواثاً محصرينا

وصلت الرسالة وأبوبكر مشغول بقتال المرتدين من بني حنيفة ومسيلمة الكذاب

فلما قتل مسيلمة ورجعت بنو حنيفة إلى الإسلام بعث لهم ابن الحضرمي في جيش من بني حنيفة وبني سعد ... فقاتلوا المرتدين والكفار وفكوا حصار المسلمين في جواثا ثم ساروا إلى هجر وحاصروها حتى فاءت إلى أمر الله ورجعت إلى الإسلام .

وأثناء مسيرتنا خلال عهد الراشدين والعصر الأموي تمر بنا أسماء لا يمكن تحديد موطنها الأصلي أو الجزم بتاريخها ... إلا أنها من عبدالقيس ... وفي مقدمتها صعصعة بن صوحان ... وعمر بن تغلب العبدي ... وصحار بن العباس ... ومعبد ابن وهب العصري وزياد الأعجم ... والحكم بن جبلة العبدي ... الذي أرسله عثمان ابن عفان رضي الله عنه إلى بلاد السند يستقصي أخبارها ... فلما عاد منها قال لعثمان : ماؤها وشل « قليل » ولصها بطل ... وسهلها جبل ... إن كثر بها الجند جاعوا وإن قلوا ضاعوا ... فلم يوجه الخليفة أحداً خوفاً على المسلمين .

وما إن انفرط عقد الخلافة بمقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وقيام الحروب بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان حتى طمع الطامعون وكل منهم يرى له أحقية الاستيلاء على ناحيته خارجين عن طاعة الدولة ... وكان في مقدمتهم نجدة ابن عامر بن عبدالله بن المطرح الحنفي وكان من أصحاب نافع الأزرق فاختلف معه وانفصل عنه واستقل بدعوته حتى جمع جيشاً حارب وهاجم به هجر ... واستولى عليها ... ثم انطلق إلى كاظمة ـ وعمان ـ واليمن وعزم على غزو المدينة لو لم يقم عبدالله بن نور (ابو فديك) بقتله سنة ٧٢هـ الذي اختلف عليه جنده فقتلوه هو الآخر سنة ٧٣هـ ... وبعد هذا التاريخ بثلاث عشرة سنة أي سنة ٨٦هـ ينهض بالأحساء مسعود بن أبي زينب العبدي فيقوي جيشه حتى يحتل البحرين حيث يهرب واليها الأشعث بن عبدالله ـ فسار مسعود يريد اليمامة فقاتله واليها سفيان بن عمر العقيلي حتى قتله سنة ١٠٥هـ ... وبعد وفاة الوليد بن يزيد يخرج المهير بن أبي سلمى بنواحي البحرين فلم يكتب له النجاح ... وفي العصر العباسي وفي عهد المنصور يخرج بالبحرين سليمان بن حكيم العبدي الذي استمر استقلاله بالبحرين إلى سنة ١٥١هـ حيث قتل ... وفي عهد هارون الرشيد يخرج سيف بن بكير من عبدالقيس لكنه لم ينجح حيث تقابله جيوش الدولة بمنطقة تسمى عين النوارة فيقتل سنة ١٧٠هـ ... ومن الواضح أن هذه الفترة وهذه الثورات كانت تزلزل أركان الأمن

وتذهب الطمأنينة في النفوس فينشغل الناس بالدفاع عن أنفسهم وأموالهم ... وينصرفون بذلك عن العلم ... وطلبه ... وبالتالي لا تكون لديهم حصيلة حضارية أو أدبية ... يعتمد عليها ... اللهم إلا ما تمليه السليقة ... أو تفرضه الظروف الصعبة ... لذلك فإن الدارس للحياة الفكرية خلال الفترة من ٥٠ ـ ٢٥٠ هـ أي قرنين من الزمن سيرى أنه لم ينهض خلالها أديب أو مفكر ... أو شاعر له شأن يذكر ... لكن مهما طال الزمن وكثرت الفتن فلا بد أن تفرز شيئاً ينم عن هوية العصر ... ويصور حال الدولة وقد مضى هذان القرنان في حالة من الفوضى وعدم الاستقرار ... ولكن ما جاء بعدهما كان أقوى أثراً ... وأبعد رؤية .

وبعد وفاة عثمان رضي الله عنه يسعى معاوية بن أبي سفيان والي الشام إلى توسيع سلطانه ومد نفوذه مستغلاً مقتل الخليفة عثمان ... ومطالباً بثأره فتثور الحروب بينه وبين الخليفة الرابع على بن أبي طالب كرم الله وجهه فينقسم المسلمون لتصبح الأمة أمتين والجيش جيشين كل يدعو لخليفة ويحارب لهدف ... إما لنصرة الحق ... أو طمعاً في عرض من عروض الحياة ... فينشغل المسلمون بأنفسهم عملاً بوصية مرداويح حكيم المجوس لأتباعه بعد فتح نهاوند ٢٠هـ في خلافة عمر بن الخطاب ـ اشغلوا عمر في بلده ـ فأشغلوا عمر حتى اغتالوه وأشغلوا من بعده إلى عصرنا الحاضر بالفتن والدعوات المارقة والمذاهب الهدامة ... وكانت الشرارة الأولى مقتل عمر ثم مقتل عثمان ثم الفتنة والحروب بين علي ومعاوية ... ومقتل الحسن بن علي في عهد يزيد ... واستباحة المدينة ... كل هذه عوامل فرقت كلمة المسلمين ... وخلقت البغض والحزازات ... وقد تأثر الأدب الإسلامي تأثراً مباشراً ترك بصماته البشعة ملطخة وجه التاريخ ... ولن نعرض لشيء من ذلك التصوير الناطق بالمرارة والذي يصور واقع الأمة الإسلامية آنذاك ... ولكننا سنعرض لأسماء بعض الشعراء كما سجلهم المؤرخون والنقاد ... وبعض الصور البيانية الرائعة من أقوالهم ... ويأتي في مقدمة هؤلاء : الصلتان العبدي واسمه قثم بن حنية من عبدالقيس وهو القائل :

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
ويسلبه الموت أثوابه ويمنعه الموت ما يشتهي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

إذا قلت يوماً لمن قد ترى — أروك السري أروك الفتي
بني بدا خب نجوى الرجال — فكن عند سرك خب الشجي
وسرك ما كان عند امرىء — وسر الثلاثة غير الخفي

ويبرز أيضاً زياد الأعجم بن سليمان مولى عبدالقيس وهو ممن عدهم ابن سلام في الطبقة السابعة ... ومن قوله :

وكأين ترى من كائن معجب — زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده — فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وفي هذا المجال تخطر أمامنا أسماء ... كعب بن عود بن الهجري ... أبو الجويرية ... الأعور الشني ... محمد بن شامة ... كعب بن جابر وكلهم قد أورد لهم المؤرخون بعض المقتطفات الشعرية دون أن يترجم لهم أو يحددِ موطنهم الأصلي .

صاحب الزنج :

يتحدث التاريخ فيقول إن هذا الرجل واسمه علي بن محمد بن عبدالله بن الفضل ادعى أنه من آل البيت ودعا إلى نفسه ... وكان قوام دعوته تحرير العبيد والمماليك من الرق ، فاجتمع له خلق كثير من هؤلاء وكون منهم جيشاً أخذ يغير به على البوادي ، ثم استقر بهجر وتحصن بها سنة ٢٤٩هـ ثم أغار على البصرة ، وبغداد ونشر الرعب في العراق حتى قتل سنة ٢٧٠هـ ... ومن شعره :

لقد علمت هاشم أننا — صباح الوجوه غداة الصباح
وأنا إذا زعزعت في الوغى — ذيول الرياح ذيول الرماح
نسوق السيوف بدفع الحتوف — وننكي الجراح بكف الجراح

ويحدثنا عن نفسه في قصيدة طويلة منها :

أنا روض الربيع في كل أرض — فيلسوف الزمان في كل فن

القرامطة :

في دولة القرامطة التي قامت بالبحرين من سنة ٢٧٨هـ إلى سنة ٤٨٧هـ على مدى قرنين من الزمن ، أسسوا خلالهما مدينة الأحساء ... واستقلوا عن الدولة العباسية ... وكان سلطانهم يمتد من البصرة إلى عمان ، ومن الخليج العربي إلى الشام ومشارف الحجاز ... إلا أن كتب التاريخ لم ترصد شيئاً عن الحركة الفكرية والحياة الثقافية في هذه البلاد خلال تلك الفترة إلا في النادر اليسير وقد يجوز ذلك لانشغال القرامطة بالحروب وتأسيس الدولة ... حيث نجد أنه برز خلال هذه الفترة اثنان فقط هما ...

أبو طاهر :

سليمان بن أبي سعيد الجنابي الذي تولى أمر القرامطة سنة ٣٠١هـ ، وهو الذي تولى قتل الحجاج في الحرم ونقل الحجر الأسود إلى بلاده ـ ولولا هذه الحادثة ما حفلت به كتب التاريخ ... حيث أن هذه الحادثة أصبحت حديث الشعراء ، والكتاب في جميع نواحي البلاد الإسلامية .

الأعصم :

واسمه الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي ولد بهجر سنة ٢٩٨هـ وتولى أمر القرامطة سنة ٣٣٩هـ ، فغزا الشام واستولى على دمشق سنة ٣٦٠هـ ، ثم سار إلى مصر حتى وصل إلى بلبيس ، فقرر العودة ومات في الطريق (بالرملة) سنة ٣٦٣هـ ، وقد حفظت لنا كتب الأدب مقطوعات من أشعاره ... ومن ذلك قوله :

إني امرؤ ليس من شأني ولا أربي ... طبل يرن ولا ناي ولا عود
ولا أبيت على خمر ومخمرة ... وذات دل لها غنج وتأويد
ولا أبيت بطين البطن من شبع ... وجار بيتي خميص البطن مجهود

وكان له اهتمام بالأدب والعلم ، يدل على ذلك ما رواه الحسين بن عثمان الخزفي الغارقي الحنبلي : قـال :

كنت بالرملة سنة ٣٥٦هـ ، وقد ورد عليها أبو علي الحسن القرمطي ، وعليه ثياب قصيرة فاستدعاني ، وقربني إلى خدمته ... وكان كاتبه أبو نصر بن كشاجم

الشاعر ... فلما رأى الشموع قال لأبي نصر : ما يحضرك من صفة هذه الشموع ... قال إنا نحضر مجلس السيد لنسمع كلامه ونستفيد من أدبه _ فقال :

ومجـدلـة مثل صـدر القـنـاة   تعـرت وبـاطـنـهـا مكتـسـي
لهـا مقـلـة هي روح لـهـا   وتـاج على هـيـئـة البـرنـس
إذا غـازلتـهـا الصـبـا حـركت   لسـانـاً من الـذهـب الأمـلس
وتـنـتـج في وقـت تـلـقـيحـهـا   ضـيـاء يـجـلـي دجى الحـنـدس
فـنـحـن من النـور في أسـعـد   وتـلـك من الـنـار في أتـعـس

ومن أشـعـاره :

يا سـاكن البـلـد المنيـف تعـززاً   بقـلاعـه وحـصـونـه وكـهـوفـه
ما العـز إلا للعـزيـز بـنـفـسـه   وبـخـيـلـه وبـرحـلـه وسـيـوفـه
وبقـيـة بيـضـاء قـد ضـربـت على   شـرف الخـلال لجـاره وضـيـوفـه
قوم إذا اشتد الوغى أردى العدا   وشـفـى النـفـوس بـضـربـه وزحـوفـه
لم يـجـعـل الشـرف التـلـيـد لنـفـسـه   حتى أفـاد تـلـيـده بـطـريـقـه

العيونيون :

على الرغم من امتداد فترة حكم الدولة العيونية التي أسسها عبدالله بن علي ابن إبراهيم العيوني سنة ٤٦٥ ـ ٦٣٠هـ ، فإن حكمهم كان حكماً قبلياً قائماً على الغزو . لذلك لم يهتموا بالتعليم ، ولم تذكر لهم آثار أدبية ولم ينبغ فيهم إلا الأمير جمال الدين علي بن عبدالله بن منصور بن مقرب العيوني ، الذي سجل الأحداث وذكر أمراء العيونيين وحروبهم مفصلة ... ولولا شعره لما عرف عن هذه الدولة شيء ذو بال ... وهو شاعر فارسي ، وقد رحل إلى العراق عندما رأى تخاذل قومه ، واضطهاد أمرائهم له ... فطاف البصرة وبغداد والموصل ، ثم عاد وسافر إلى عمان وتوفي هناك ... وشعره مع ما يتمتع به من سلاسة وقوة إلا أنه لا يخرج عن الشعر التقليدي ... فيه عصبية الجاهلية وتجديد المتنبي ، واعتزازه بنفسه.

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد — وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه — فواعجبا إن سالمتك الأباعد
ولا تشك أحداث الليالي إلى إمرىء — فذا الناس إما حاسد أو معائد
وعد عن الماء الذي ليس ورده — بصاف فما تعمى عليك الموارد

إلى أن يقول :

فقم نحصد الأعمار أو نبلغ المنى — بجير فللأعمار لا بد حاصد
فليس الصاعد إلى المجد عاجز — نؤوم تناديه العلا وهو قاعد
وفي السعي عذر لفتى لو تعذرت — عليه المساعي أو جفته المقاصد

وهو ينعي قومه عندما تغلب رؤساء القبائل على حكامهم ... ومن ذلك قوله :

يا خيبة السعي يا خسران صفقتنا — يا شؤم حاضرنا الأشقى وبادينا
كنا نخاف انتقال الملك في حضر — فمرحباً بك يا ملك اليمانينا
فلو تولت ملوك الروم ما فعلت — فخسار ما صنعت أخواننا فينا

وديوانه لا يخرج عن هذه المعاني إلا لمديح أو عتاب ... أو غزل .

والصورة الواضحة عن هذه الفترة تتجلى فيما حفظته لنا مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وذلك في الجزء الرابع والعشرين من صفحة ١٦٣ الطبعة الأولى ؛ حيث ذكر في رسالة وجهها إلى أهل البحرين (الأحساء) ، إجابة لاستفتاء تقدموا به إليه بواسطة وفد أرسلوه إليه بسألونه عن حكم صحة صلاة الجمعة في البحرين ، إذا كانت بيوت السكان من جريد النخل . وقد أثنى شيخ الإسلام في تلك الرسالة على أهل البحرين ثناء عاطراً ... ونقتطف من تلك الرسالة فقرات على سبيل المثال ، قال يرحمه الله في مطلعها بعد أن ذكر اسم الله وصلى على نبيه :

« من أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية ، إلى من يصل إليه كتابه من المؤمنين والمسلمين من أهل البحرين ، وغيرهم عامة ولأهل العلم والدين خاصة » ، ثم قال : « أما بعد فإن وفداً قدموا من نحو أرضكم ، فأخبرونا بنحو مما كنا نسمع عن أهل ناحيتكم من الاعتصام بالسنة والجماعة والتزام شريعة الله التي شرعها على لسان رسوله ، ومجانبة ما عليه كثير من الأعراب من الجاهلية التي كانوا عليها قبل الإسلام ، من سفك بعضهم دماء بعض ، ونهب أموالهم وقطيعة الأرحام والانسلال عن ربقة الإسلام ، وتوريث الذكور دون الإناث » ... وفي مكان آخر من رسالته إليهم ، قال بعد أن أثنى عليهم : « وليس هذا ببدع . فإن أهل البحرين ما زالوا من عهد رسول الله ﷺ أهل إسلام وفضل ... وقد قدم وفدهم من عبدالقيس على رسول الله ، وفيهم الأشج فقال لهم رسول الله ﷺ : « مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى ... إلخ » .

واستطرد في مكان آخر من الرسالة فقال : « ثم إنهم أقاموا بأرضهم فأول جمعة جمعت في الإسلام ـ بعد جمعة المدينة ـ (بجواثا) قرية من قرى البحرين ثم إنهم ثبتوا على الإسلام ... ولما توفي رسول الله وارتد من ارتد من العرب ... » إلى آخر ما أفاض فيه من ذكر حسناتهم .

ولو كتب هذا الثناء غير شيخ الإسلام ابن تيمية ، لما كان له هذا الوزن في نفوسنا . نظراً لأن المعروف من سيرة هذا العالم الجليل : الصدق والأمانة والدقة في الحكم على الأشياء ، والابتعاد عن التزلف ، والتقرب لأحد وقد عرضه كل ذلك

للسجون والتعذيب مرات متكررة .

وقد برز في هذه الفترة :

ابــن فــهــد :

أحمد بن فهد بن إدريس الأحسائي ، عاش في أواخر القرن الثامن ، ومات في أوائل القرن التاسع ... ذكره ابن أبي جمهور في غوالي اللآليء ـ من مؤلفاته : خلاصة التنقيح في شرح الإرشـاد ، وعدة الداعي في الأدعية المأثورة .

الســبـعــي :

فخر الدين أحمد بن محمد عبدالله رفاعة السبعي الأحسائي ـ عاش في نفس الفترة السابقة ، له كتاب شرح قواعد العلامة .

ابـن أبـي جـمـهـور :

هو الشيخ محمد بن حسن بن علي بن أبي جمهور الأحسائي ، من العلماء المشهورين ، من مؤلفاته (غوالي اللآلي) في الحديث ، و (شرح زاد المسافرين) ... عاش في القرن التاسع .

الاحتلال والدولة العثمانية :

وجه السلطان سليم خان بن السلطان سليم القائد محمد باشا فروخ ؛ لاحتلال الأحساء فاحتلها سنة ٩٦٣هـ ومنذ الاحتلال والناس يتمتعون بالاستقرار ، فانصرفوا إلى دراسة الدين وبناء المساجد والمعاهد ... وكان لبعض الدعاة والوعاظ الذين قدموا بصحبة الجنود الأتراك ، أثر ملموس في تشجيع طلب العلم ... فبرز من بين هؤلاء عدد من الأدباء والقراء نذكر منهم :

الشيخ إبراهيم بن حسن المحافظ :

كان والده مفتياً في الجيش التركي ، الذي احتل الأحساء وجده الشيخ علي الواعظ الحريني الطائي ... من أكابر العلماء ، رحل إلى مكة ، وأخذ عن فقيهها الشيخ عبدالرحمن بن عيسى المرشدي ... له من المؤلفات : شرح الأجرومية ـ في اللغة ـ دفع الأسى في أذكار الصباح والمساء سنة ١٠٤٨هـ .

محمد بن خليل الأحسائي :

من فقهاء اللغة العربية والعروض ... ومن علماء عصره في الفرائض ، والفقه ... تولى القضاء بالطائف سنة ١٠٣٤هـ .

أبوبكر بن علي باشا :

الأمير أبوبكر بن علي باشا ، ولد بمدينة الهفوف في حدود سنة ١٠٠٠هـ واشتغل بطلب العلم ، ثم رحل إلى المدينة المنورة ، وأقام بها إلى أن توفي سنة ١٠٧٦هـ ودفن بالمعلاة ... وله ديوان شعر في مجلدين ... ومن شعره مهنئاً الشريف زيد بن محسن :

زفت لعز مقامك العلياء ... وعليك فضت راحها الجوزاء
فالبدر كأس والشموس عقارها ... فاشرب بكأس شمعة الصهباء

إلى أن يقول :

خضعت لعزك فاستقم في عرشها يا ظاهرا لا يعتريه خفاء
وانصب لواء العدل منتصب الثنا قد ضوعت بعبيره الأرجاء

وله نثر تقليدي لا يخرج عن إطار السجع ، الذي يعد في عصره غاية الإبداع .

السيد علوي الهجري :

علوي بن إسماعيل الهجري ... ذكره المعصومي فقال : شاعر هجر ومنطقها ... توفي سنة ١٠٧٩هـ ... وله شعر لم يذكر منه سوى بعض الأبيات الغزلية منها :

بنفسي أفدي وقل الفدا غزالاً بوادي النقا أغيدا
مليحاً إذا نص عن وجهه نقاب الحيا خلت بدرا بدا
غزالا ولكن إذا ما نصبت شراكاً لاصطياده استاء سدا
سقيم اللواحظ مكحولها ولم يعرف الميل ولا الإثمدا

دولة آل حميد :

عندما قفز براك بن غرير بن مسعود آل حميد إلى السلطة عام ١٠٨٠هـ ، على أنقاض الدولة العثمانية ، الذي دب الضعف في جميع أوصالها ، لم يكن يظن أن الأمور ستتطور لصالحه ليكون دولة يمتد تاريخها قرناً ونصف القرن تقريباً ، إلى سنة ١٢٠٠هـ لكنه عندما استقر له الأمر ، ورأى سلطانه يمتد من الكويت إلى قطر وإلى سدوس بنجد انصرف إلى الإنشاء والتعمير فبنى القصور والمساجد ... منها : قصر القلعة بالمبرز ، ومسجد براك ... ومسجد غرير ومسجد سليمان ، وكذلك فعل خلفاؤه في الحكم ، اهتموا ببناء المساجد كما اهتم الولاة العثمانيون ببناء مدارس الوعظ والإرشاد ... وقد بلغ عددها في المبرز عشر مدارس ... وفي الهفوف خمسا وعشرين مدرسة ، نذكر منها المدرسة الشلهوبية بالكوت ... ومدرسة المبارك بالصالحية ... ومدرسة محمد بن عتبان بالمبرز ... ومدرسة آل بوبكر ... ومدرسة عمران بن حسن ، ومدرسة موسى أبو القاسم ، ومدرسة محمد بن الشيخ حسين ـ لذلك ونتيجة للاستقرار فقد انصرف الناس لطلب العلم .
وشجعهم على ذلك تقريب الحكام لبعض رجال العلم ... وفي مقدمتهم :

الشيخ أحمد بن عبدالله العبد القادر :

هو أحمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد الأنصاري ولد سنة ١١١٨هـ وتوفي سنة ١١٩٨هـ ؛ اشتغل بالعلم والأدب حتى اتخذه الأمير عرعر بن دجين الحميد مستشاراً وأميناً لسره ... فكان في منصبه مقصداً للطامعين ، وأملاً للآملين ... فكان في بلده كالقلب في الصدر ، وهي منه كالهالة من البدر ... ذكره الشيخ محمد الخال في كتابه عن (البيتوشي) فقال : كان شاعراً ماهراً وأديباً واسع المعرفة ، بعيد الخيال رقيق الشعور ... وقد مدحه الشيخ عبدالله البيتوشي في كتابه (صرف العتاهية) وكذلك في العديد من قصائده .

وشعره على غزارته لا يخرج عن إطار المساجلات الأدبية ، ومن شعره قوله في القهوة العربية :

اشرب الكأس دائماً بالتهاني — آمن العدم ما جرى السلوان
واصطبح قهوة كحمرة صبح — بعد هزم الكرى قبيل الآذان
بنت بين لا بنت كرم حرام — لم تذلل بعصرها في الدنان
تجلب الأنس للفتى ويحلي — دارس العمر حلية الولدان

ويمدح بلده الأحساء فيقول :

فسقى الله ربي هجر حيا — ينفض الودق مزيعاً مرجحنا
ينبت الزهر بأكناف الصرى — وربى الحزم غدت روضا أغنا
والعذيب العذب شرقي الحمى — عمه الويل فأرواه وهنا

الشيخ محمد سعيد العمير :

هو محمد سعيد بن عبدالله بن محمد الدولة ... ورد ذكره في سبائك العسجد الذي طرز الطروس بجواهر علمه ... وأطرب النفوس ببديع نظمه ، ولد بالكوت سنة ١١٦٠هـ ... له الكثير من المواعظ والمنظومات أشهرها منظومة في علم العربية استهلها بقوله :

الحمد لله الذي قد منحا — باب العطاء دائماً لمن نحا

وقصيدة في الوعظ يقول فيها :

ضـــــــــــــــــيـــــــــــاع — وكل الخسر شغلك بالجهالة
ورأس النقص فوزك بازدياد — من الدنيا وحبك أن تناله

وقد تولى القضاء بالأحساء من ١٢٠١هـ - ١٢٠٣هـ في حكم دويحس بن عريعر فلما رأى أن الأمور تجري خلافاً لما كان يأمل من العدل والاستقرار ، استقال من منصب القضاء ، وتفرغ للعبادة والتدريس ، وبعث للأمير دويحس بقصيدة يعظه ويذكره فيها بصفات الحاكم العادل ومنها :

لا يرتقى للعلا من يتقي نصبا ... ولا ابتنى المجد ذو جهل لها وصبا
هل يخرج الدر إلا من يغوص له ... ومتقي النحل هل يجني له ضرباً

إلى أن يقول :

وأفضل الناس وال في رعيته ... بث النصيحة لم يظلم ولا كذباً
زكى نفساً صدوقاً لم يمل لهوى ... حاط العباد وفي الإصلاح قد دأبا

ويقول :

فإن ترد طيب عيش في أجل ... وهيبة تشمل الأدنى ومن غربا
فراقب الله واعدل في بريته ... فالعدل أقرب للحسنى إذا وصبا

وهذه وقفة مع بعض مشاهير القرن الثاني عشر ، ممن لهم أثر ـ أو ممن تركوا بصماتهم واضحة على الحياة العربية بالأحساء ... وقد عاصرهم في تلك الحقبة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف ، الذي التقى به إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، حين قدومه إلى الأحساء في صدر القرن الثاني عشر ، وأخذ عنه دروساً في فقه الشافعية ـ وأخوه الشيخ أحمد بن محمد بن عبداللطيف ، ذكره الشيخ عثمان ابن سند في سبائك العسجد ، وفد إلى زيارة محمد بن أحمد بن عبداللطيف : فكان العمدة في عصره ... والوردة في رياض عصره ... تجول في الجزيرة العربية ، من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، إلى اليمن وقطر وعمان ... وتوفي بعمان سنة ١٢٢١هـ ، وله منظومة في علم التجويد موجودة بتمامها في كتاب تحفة المستفيد . ومنهم أيضاً الشيخ أحمد بن محمد بن عثمان ، فقيه الشافعية بالأحساء غير معروف تاريخ المولد ولا الوفاة ... له من الكتب المخطوطة ، نهاية المحتاج بشرح المنهاج ، وفتح الجواد بشرح الإرشاد ، توجد نسخ منها بمكتبة المرحوم الشيخ محمد العبدالقادر ، والشيخ محمد بن عبدالعزيز بن محمد العبدالقادر ، الذي تولى القضاء بالأحساء سنة ١٢١٣هـ ثم رحل إلى البصرة ، وقام بالتدريس في مدرسة محمود الرديني . والشيخ علي بن حسين بن كثير ، والشيخ عبدالرحمن بن أحمد الزواوي ،

والشيخ عيسى بن عبدالرحمن بن مطلق ، والشيخ مبارك بن علي الغنام ، والشيخ عبدالوهاب بن محمد بن فيروز الذي تولى القضاء بالبصرة سنة ١٢٠٠هـ ... هؤلاء هم أعلام الفكر ووجوه الثقافة بالأحساء خلال القرن الثاني عشر ... ولا يفوتنا في ختام هذا الفصل إلا أن نشير لعالم نحرير وشاعر فحل وفد إلى الأحساء لطلب العلم في أوائل القرن الثاني عشر ، وهو الشيخ محمد بن أحمد العمري الموصلي ، الذي اجتمع برجال الدين ، والعلم فيها ، والتقى بفضلائها وأخذ عنهم زاده من الثقافة والمعرفة ، وسجل كل ذلك بمنظومة فريدة ، اشتملت على جميع رجال الدين والأدب الذين التقى بهم ... ومطلعها :

جبت الفيافي والقفار جميعها — براً وبحراً كي أنال منائي
وشرعت في الشعر الحميد بلدتي — دار الأفاضل موصل الحدباء
جئت إلى الأحساء أحسن كال في — الأرش من بلد بغير مراء
فأقمت فيها مدة أجنني جنى — ثمرات روض لذتي وصفائي
ووجدت أهليها مشايخ سادة — صافية من حسد ومن بغضاء
ورأيتهم أهل اعتقاد صادق — وبها اجتمعت بأغلب العلماء

أثر دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب :

وفي منتصف القرن الثاني عشر ، كان الإمام محمد بن عبدالوهاب ، قد طاف حواضر البلاد الإسلامية : مكة والبصرة والأحساء وأخذ عن علمائها ... واتجه إلى العيينة وأخذ يدعو الناس إلى نبذ الخرافات ... والعودة إلى التوحيد ، لكنه لم يجد القوة التي تسند دعوته ، وتدعم طريقه فرحل إلى الدرعية ، فوجد من الإمام محمد ابن سعود بن مقرن كل نصر ومؤازرة . وأخذ الاثنان يتعاونان على محاربة البدع والفساد ، عن طريق الدعوة حيناً ، وعن طريق الحرب حيناً آخر ... فوصلت أخبار دعوته المباركةإلى الأحساء كما وصلت إلى غيرها من بلاد الإسلام فوقفت بين مؤيد ومعارض ... وكان من بين المؤيدين :

الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام :

ولد بالمبرز وكان له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه ... وله معرفة بالشعر والنثر وصنف من الكتب :

١ ـ العقد الثمين في شرح أصول الدين .

٢ ـ روضة الأفكار فيما كان من نجد من الأخبار .

وهذان المؤلفان مطبوعان ... الأول في الفقه والثاني في التاريخ ... وله أشعار لا تخرج عن أغراض المديح ، والرثاء مثبتة في كتابه التاريخي ... توفي رحمه الله سنة ١٢٢٥هـ .

الشيخ عبدالعزيز بن صالح الموسى :

قال صاحب سبائك العسجد : درس الأدب ، وهو ابن عشر وبرع فيه حتى ضاع منه النثر ... له نظم هو السحر الحلال مشتمل على الحكم والأمثال ، توفي سنة ١٢٢٣هـ ولم نعثر على شيء من آثاره .

الشيخ أحمد بن علي بن حسين بن مشرف :

ولد بالأحساء ـ وأخذ العلم من علمائه . له ديوان مطبوع يحتوي على منظومة سماها (جوهرة التوحيد) ونظم رسالة أبي زيد القيرواني ـ ومنظومة الشهب الرمية في الرد على المعطلة والجهمية ... ومنظومة نغمة الأغاني في عشرة الإخوان ... وقصائد في مدح النبي ﷺ ، وعدد من المسائل الفقهية ومدائح الإمام فيصل بن تركي ... وقد تولى القضاء فترة من الزمن ... وتوفي رحمه الله سنة ١٢٨٥هـ .

الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن نافع :

كان عالماً فاضلاً ، أخذ العلم عن أبيه الشيخ محمد بن عبدالله بن نافع ، هاجر إلى الأحساء واستوطنها وتولى القضاء للإمام عبدالله بن فيصل بالقطيف ، وترجم له في كتاب عقد الدرر ـ وتحفة المستفيد ـ توفي بالأحساء عام ١٢٨٧هـ .

الشيخ أبو بكر الملا :

أبو بكر بن محمد بن عمر الملا ، ولد بالأحساء سنة ١١٩٨هـ ـ حفظ القرآن وهو صغير ودرس علوم الفقه واللغة والفرائض والآداب والسلوك عن عدة مشايخ وقد أجازه الشيخ محمد القاسي ، في كتابه « المنح البادية في أسانيد العالية » والشيخ عبدالله بن سالم البصري في كتابه « الإمداد بمعرفة علوم الإسناد » وقد شغل حياته بالتعليم والتعلم والتأليف ... ومن مؤلفاته :

١ ـ إتحاف النواظر بمختصر الزواجر .
٢ ـ الأزهار النضرة بتلخيص كتاب التذكرة .
٣ ـ شرح الأربعين النووية .
٤ ـ هداية المحتذي بشرح شمائل الترمذي .
٥ ـ منهاج السالك ... منظومة في الأخلاق .
٦ ـ بغية الواعظ في الحكايات والمواعظ .
٧ ـ إرشاد القارىء لصحيح البخاري .
٨ ـ تلخيص المنظومة الأمامية .
٩ ـ نخبة الاعتقاد بشرح منهاج الرشاد .
١٠ ـ تحفة الأخبار بمختصر الأذكار .
١١ ـ الزهر العاطر بتلخيص صيد الخاطر .

وهذه الكتب لا تعدو في محتواها شرحاً أو تلخيصاً يدل على تمكن في اللغة ، ومعرفة بالأحكام ... أما شعره فهو لا يخرج عن الأغراض التي عالجها معاصروه ... توفي يرحمه الله سنة ١٢٧٠هـ ... ومن جيد شعره :

عـدولي كـف اللـوم عـنـي وخـلـنـي ... إذا لم تكن لي في الصبابة منجدا
فلو ذقت من طعم الهوى ما وجدته ... لما كنت لي بالعدل يوماً مفندا
ولو سمت منها لحظ مقلة طرفها ... لما عدت لي في ذا الملام مرددا

ولقد كانت الفترة من ١٢٨٠هـ ـ ١٣٣٠هـ ، بالنسبة لأهل الأحساء ، فترة

سياسية حرجة لأن بلادهم تحولت إلى ميدان حرب والكل طامع في استغلالها واستثمار هذه الحروب رغم وجود القوات التركية ـ وممثلي الحكومة التركية القائمين على ولاية الأحساء ... لأن الخلافة المركزية في الآستانة قد فقدت الكثير من معنوياتها ومقوماتها ، وأصبحت الدول الكبرى تتآمر عليها لإسقاطها ، وهذا ما حدث بعد احتلال البلقان ... اعتدت فرنسا فاحتلت الشام ، وشمال أفريقيا : الجزائر ـ تونس ـ المغرب ... واحتلت ايطاليا : ليبيا والحبشة ، وبريطانيا احتلت مصر والسودان والعراق وإمارات الخليج العربي ... ومع ذلك ورغم الهزات السياسية ورغم الحروب بين الأتراك والقبائل ، وبين آل سعود ، والأتراك وابن الحميد ، فقد كانت تخضع للأتراك يحكمونها أحياناً باسم بني خالد ، وأحياناً ينصبون من بني خالد من يحكمها باسم الأتراك ... ثم يحتلها آل سعود لفترة ... وهكذا كان الحكام يتعاقبون عليها ، بالإضافة إلى ما تتعرض له من غزو القبائل البدوية . وقد صور هذه الحالة الشيخ أحمد بن مشرف في قصيدة طويلة منها :

قد قسموا الأحساء جهلاً بزعمهم   لعجمانها شطر وللخالدي شطر

ويذكر القبائل التي كانت تحارب الإمام عبدالله بن فيصل للاستيلاء على الأحساء فيقول :

فوافق بالجهر جموعاً توافرت   من البدو أمثال البحار الزواخر
سبيعاً وجيشاً من مطير عرمرماً   ومن آل قحطان جموع الهواجر
ولا تنس جمع الخالدي ففيهم   قبائل شتى من عقيل بن عامر

وبالرغم من هذه الحروب ... فقد وجد الفكر أرضاً خصبة ، وحديقة نضرة تسلل إلى العقول عبر قنوات صغيرة ، هيأتها فترات الاستقرار ... وأخذ العلم يزدهر على يد النخبة من أبناء البلاد ... وأخذ الأدب ينمو برعاية ... وممن برز في هذه الفترة كرجال دين لهم أثر في الحياة الفكرية ...

الشيخ عبدالله الشبـاط :

وهو من رجال الفقه والحديث ... وكان يلقي مواعظه ودروسه في مدرسة البن سعد بالمبرز سنة ١٣١٥هـ .

الشيخ محمد اللويحـي :

له مؤلفات في اللغة العربية ، مثل كفاية الطلاب بعلم الإعراب ... شرح الأحروبة ... رسالة في التجويد ... جامع الأصول عن أهل الوصول ... غير معروف زمن الولادة والوفاة ولكنه معاصر لهؤلاء .

علي بن عبدالله آل رمضان :

مؤلف كتاب الكشكول ، في الأدب سنة ١٣٢٣هـ ومحمد بن عبدالله العيثان : له كتاب معاني الحروف والرسالة العلمية سنة ١٣٣١هـ وعبدالرحمن بن عبداللطيف الموسى : التقى بالشيخ محمد علي ظاهر البغدادي بالمدينة المنورة ، أخذ عنه فأجازه بجميع مروياته ... توفي سنة ١٣٣٢هـ .

... أما المبرزون في النواحي الفكرية والذين تركوا بصماتهم على التاريخ الأدبي لهذه المنطقة ، فهم قلة قليلة لا يقاسون بمعاصريهم في الحجاز ... أو مصر أو العراق ، لكنهم مع ذلك أثروا الفكر العربي وأغنوا طلابهم بما يشتهون من بدائع ثمار المعارف وأزهار الفكر مما يتمشى مع روح ذلك العصر ، ويساير الوضع السياسي والاجتماعي ، ولذلك أنشأ ما يعبر شعراً ونثراً عن فرحة أهل الأحساء بما قيضه الله لهم من الأمن ، والاستقرار الإداري ... والوحدة الوطنية التي وطد أركانها الملك عبدالعزيز آل سعود ــ طيب الله ثراه ــ منذ نصف قرن ... أمن المواطن على دمه ، وماله وعرضه فشعر بالطمأنينة ، وانصرف للإنتاج والعمل لتحسين وضعه الاجتماعي والثقافي . ففتحت المدارس النظامية ، والتحق بها الطلاب ، والطالبات زرافات ووحدانا وحرص المواطن على العلم كحرصه على الرزق ... وبذلك بدأت فترة من الزمن جديدة في عهد الجزيرة العربية عامة ... والأحساء خاصة ... وكان لدخول الملك عبدالعزيز الأحساء عام ١٣٣٣هـ ، وبسط الأمن فيها أثر كبير في النفوس اختمر

فيها ، ثم انطلق شعراً يعبر عما يخالجها من لهفة ... وحب ... وتقدير ... ومن هؤلاء :

الشيخ عبدالله بن علي العبدالقادر :

المتوفي سنة ١٣٤٤هـ بعث بقصيدة يقول فيها :

وفت السعود بوعدها المضمون ... وترادفت بالطائر الميمون
وعلا لواء المسلمين وعاينوا ... تحقيق أملي لهم وظنون
نهنيك يا هذا الإمام سعادة ... بالنصر والإعزاز والتمكين
فقت الملوك بسالة وسياسة ... هيهات ما من مشبه وقرين
قرت بك الأحساء عينا إنها ... ترجو صلاح أمورها والدين

وللمرحوم الشيخ عبدالعزيز العلجي قصيدة طويلة في هذا المعنى منها :

إذا راعت الأعداء هيبة جنده ... علاهم برأي كان أمضى وأجودا
يكاد لحسن الرأي يدرك يومه ... بظن صدوق منتهى أمره غدا
حكيم بأطراف الأمور إذا التوت ... يفك بحلم ما التوى وتعقدا
فأعداؤهم طاشت وحارت عقولهم ... فكل جهات منه تهدى لها الردى
على أنه أحلى الملوك لطافة ... وأحسنهم بشراً وأجزلهم ندى
وأوصلهم رحماً وأشرفهم سنا ... وأوسعهم عفواً وأقدرهم يدا
وأعظمهم عند الحفاظ حفيظة ... وأكثرهم عند الإله تعبدا
وأنصرهم للشرع من غير مرية ... وأقومهم سيراً على سنن الهدى
وأعلاهم هماً وقدراً وهيبة ... وأقواهم دفعاً لقارعة العدا

أما عبداللطيف عبدالله بن عبداللطيف بن عمير فيقول في قصهدة أخرى :

لو يوزن المجد من قوم أولي شرف ... لقلت ذا مجده في وزنه رجحا
ساس الممالك والملك المنيع بما ... أولاه مولاه بالتوفيق إذ فتحا
يولي الجميل وكم فاضت له منن ... منها على الخلق وبل ظل مصطحباً

لولاه ما سار في البيداء من رجل — إلا لديه خفير يدفع الترحا
قد حكم السيف في هام البغاة تضحى — فإذا عنوا إذ غدوا من بأسه جرحا
لذلك الخطب أبدوا توبة صدقت — بها استقاموا على نهج الهدى صلحاً
أمده الله بالنصر المبين فلا — يخشى العواقب من باغ بغى ونحا
لا غرو أن جعل التوحيد منهله — يسقى البرية من أنهاره قدحا
لا يرتضي الشرك بل يروي لفاعله — لكون فاعله في النار قد سرحا
الحمد لله نور الشرع يسطع في — أرض الجزيرة نوراً طاهراً وضحا

وحين نريد ختام هذه الملحمة الأدبية لا بد لنا من الإلمام ببعض ما يضوع في أرجاء الفكر من ثمرات العقول في ميدان السحر الحلال ... فنعطي القارىء لمحة عن بعض وجوه الفكر ، الذين قرأنا لهم أو سمعنا عنهم ... ومن هؤلاء من هو مكثر ، ومنهم المقل ... منهم الشاعر ومنهم الكاتب كل حسب معطياته وإمكانياته وخلفيته الثقافية ، وإبداعه الفني الموهوب ... وبما أنني لا أكتب نقداً ولا إحصاء فأرجو أن لا يأخذ القارىء ما أكتبه على أنه تقويم لمكانة أحد هؤلاء ... كما أرجو أن لا يأخذه كدليل حصر شامل لكل الأدباء ، والشعراء بهذا القطر ... وإنما هي ملامح قد تعطي ضوءاً : ليستدل منه الباحث على أول الطريق .

ومن النماذج التي سوف نستقي منها سيجد القارىء بين هؤلاء الأدباء ، شعراء يعالجون بفكرهم قضايا عصرهم ... ويتحدثون عن أمجاد بلدهم حديثاً مستغرباً غير مملول ولا ممطول .

فإذا نقّبنا في الأدب والتاريخ شعراً ونثراً ، فسوف نلتقي بكل من : الشيخ محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن العبدالقادر سنة ١٣٩٠هـ : الذي سلك في تاريخه ـ (تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والحديث) ـ مسلك القدماء بحيث رتب الأحداث حسب تاريخ حدوثها .

ومن المؤرخين المعاصرين : الشيخ يوسف بن راشد المبارك : الذي عالج موضوع الأسر العلمية بالأحساء معالجة تاريخية ، نشرها في مجلة العرب ... ومن الأدباء : الشاعر الأستاذ أحمد الراشد المبارك : الذي جمع بين الشعر والنثر ، وكتب

عن فكر متوقد وثقافة عميقة ... أما الأستاذ خليل الفزيع ، فقد اتجه إلى ميدان النثر فكتب القصة ، والمقالة في النقد الأدبي والاجتماعي ... كما يعتبر الدكتور عبدالله ابن علي المبارك : أول رائد من رواد الدراسة الأدبية الأكاديمية في شرق الجزيرة العربية ؛ ومن مؤلفاته النثر في شرق الجزيرة العربية ... أما الأستاذ يوسف أبو حمد : فهو الوحيد الذي صدر له ديوان شعر خلال الفترة من ١٣٥٠هـ ـ ١٤٠٠هـ ... والشاعر الناشيء : محمد حمد الصويغ ... وهناك عشرات ممن ساهموا في النهضة الأدبية بالعطاء الفكري : شعراً ونثراً وتعليماً وتوجيهاً .

ومن المربين والمرشدين الذين ساهموا في ميدان الثقافة بقسط وافر ؛ الشيخ أحمد بن عبدالعزيز المبارك : رئيس القضاة بدولة الإمارات العربية ... والمرحوم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف المبارك خطيب ومحدث كبير وله شعر جيد ... الشيخ عبدالرحمن بن علي المبارك : وهو ممن يقول الشعر بالفصحى والعامية ، وله أشعار لو جمعت ونشرت ، لكونت عدة مجلدات ... الأستاذ أحمد بن أحمد بن علي المبارك : السفير بوزارة الخارجية محاضر ممتاز قوي العبارة عميق البحث ... الأستاذ محمد بن عبدالله المبارك : أمين مكتبة المعارف بالأحساء ، له أبحاث ومقالات ، وقصائد نشرت في الصحف المحلية ... أما الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الملا : فيكفي أنه أول من فكر في إنشاء أول مكتبة أدبية بالأحساء عام ١٣٥٩هـ ... وللأستاذ إبراهيم بن عبدالمحسن العبدالقادر ، كاتب العدل بالمبرز ، وإمام جامع فيصل بالمبرز عدة محاولات أدبية ، ودراسات نقدية نشرت ببعض الصحف المحلية ، ولكنه لم يتوغل في ميدان الكتابة ... أما من اشتغلوا بالتأليف فنذكر الأستاذ سعد عبدالرحمن الدريبي : الذي اهتم بالدراسات الاجتماعية والنفسية فأصدر كتاباً بعنوان (فتاة الجزيرة) وله آراء وبحوث في علم النفس .

كما أصدر عبدالعزيز بن عبدالرحمن النعيم دليلاً سياحياً بعنوان المنطقة الشرقية في الماضي والحاضر ؛ ويعتبر كاتب هذه السطور ... والأستاذ علي أحمد بوخمسين : من رواد الصحافة الأوائل بهذه المنطقة .

كذلك الناقد محمد العلي الذي يكتب في جريدة اليوم .

ومن الشباب الجامعي : الذي يسهم في تسيير دفة الثقافة الدكتور علي عبدالعزيز العبدالقادر : عميد شؤون الكتاب ... جامعة الملك فيصل ... له عدة بحوث في الاقتصاد ، وممن انصرفوا إلى الكتابة المسرحية والتأليف ... الأستاذ ناصر المبارك : وأهم أعماله المسرحية (بيت من ليف) وهي مسرحية اجتماعية كوميدية ... والمهندس عبدالله عبدالمحسن الشايب : الذي دأب على كتابة البحوث عن التراث القديم ... كالصناعة اليدوية ، والآثار ، والمهن التي كان الأقدمون يزاولونها ... وهي بحوث ممتعة ذات قيمة لحفظ التراث الوطني ... وأحمد المغلوث يعد طليعة الفنانين التشكيليين في فن الرسم ... وله عدة لوحات ... وقد أقام عدداً من المعارض ، وله بحوث حول هذا الفن ... ومن الأدباء الشبان أيضاً : محمد طاهر الجلواح ـ عبدالعزيز أحمد العصفور ـ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبدالوهاب بودي ـ إبراهيم بن صقر الحسن ـ صالح علي السليم مبارك أحمد السعيد .

ومن الصحفيين الذين يمارسون الصحافة كمهنة صالح السيف ـ فيصل القو ـ مبارك الحمود ـ مبارك العوض ـ عبدالله القنبر ـ وخليل الفزيع رئيس تحرير جريدة اليوم سابقا .

الشعر المعاصر في الخليج العربي

الشعر المعاصر في الخليج العربي

لا أدري إن كانت المعاصرة المطلوبة ، هي كون الشاعر يعيش بين ظهرانينا بلحمه وشحمه ... ويقاسمنا أوقاتنا حتى ولو كان يقول شعراً عمودياً لمعالجة مواضيع قديمة ؟ ... أم أن المقصود أن يقول الشاعر ما يعالج حياتنا ، وآمالنا وتطلعاتنا في الحاضر والمستقبل حتى ولو كان شعره يسير على نفس المنهج العمودي القديم ؟! أم لا هذا ولا ذاك بل إن المعاصرة هي الشعر الحديث بمعناه ومبناه ؟

إنني أقف مردداً هذه التساؤلات طويلاً في كل مرة يخطر ببالي موضوع الأدب المعاصر ـ أو على الأصح ـ الشعر المعاصر ... وعلى كل حال فقد عاصرنا كل لون من هذه الألوان ، فاتضح أن هناك شعراء ، يعيشون بيننا فقط أما رؤاهم وأحلامهم فتعود إلى الماضي تتمسح بأعتابه ... وتتمسك به بشدة كما يتمسك الغريق بالقشة ... فلم يجد هؤلاء سوى المناسبات مفتاحاً لطريقهم ... لكن ما إن تنتهي المناسبة ، حتى يضيع ذلك المفتاح ويختفي ذلك الصدى .

واتضح أيضاً أن هناك شعراء عصفت بهم موجة التجديد ؛ والحداثة فلملموا تراث الماضي وألقوا به وراء ظهورهم ؛ ليتحدثوا إلينا بلغة عصرنا فحاول بعضهم الوصول إلى أذهاننا ... متخذين كافة المبررات ، ليعطوا الدليل على شرعية ما يقولون فما استطاعوا وبقي كلامهم حائراً متردداً ، فلاهم بالشعراء ولاهم بالنثريين .

فالشعر المعاصر : الذي يطلق عليه اسم (الشعر الحر) ما عاد تلبية لتجديد الشكل ... والذين تمسكوا بتجديد الشكل ينطبق عليهم ما أشرت إليه سابقاً ... لأن الشعر الحر ، يجبّ أن يكون طريقة للتعبير عن نفسية الإنسان المعاصر ، بقلقه وهمومه وسباقه مع الزمن وصراعه مع الآلة ... كما يجب أن يعبر بإفصاح عن نوازعه ورغباته ... لأن التجديد في الشكل ، لم يكن هو المشكلة إذا التزم الشاعر بموسيقى الشعر ، ونغمه ولا يهمنا إذا هو بسط قصيدة ذات العشرة أبيات ، في ديوان من مائة

صفحة ، بينما في إمكانيته أن يكتبها في نصف صفحة ... فهو وحده الذي يحدد المساحات .

وحتى نستطيع أن نحكم على اللون من الشعر علينا أن نقف ـ تماماً كما وقف القدماء ـ أمام كل قصيدة لنرى هل فيها ذلك التعبير الصادق عن أحاسيس الإنسان المعاصر ومعاناته ؟ ... وهل هي تصوير لما يبحث عنه في الحاضر ؟ ... وهل ألقت الضوء على ما يستشرفه في المستقبل ؟ فإذا اتضحت لنا صحة هذه الرؤى ، مسحنا على رأسه وقلنا له : اذهب فأنت أشعر العرب .

وحتى لا يظن أولئك الذين حملوا راية الحداثة ، أن هذه شهادة لهم ... نقول : إن الشعر الحديث يجب ألا يستمد نفسه في بناء القصيدة من الأعاريض المهملة ، وإنما عليه أن يعتمد على التنويع ، في بعض بحور الشعر المستعملة ... فهو من هذه الناحية ـ كما يقول الدكتور إحسان عباس ـ أشد محافظة من الموشح ... وما ذلك إلا لضيق الشعراء المعاصرين بالعروض ، وتشقيقاته الكثيرة وتفريعاته واستسهالهم لركوب ما يركب من بحوره دون أن يسلموا مع ذلك ، من كسر الوزن جهلاً به لا تحدياً له .

وحتى لا آخذ القارىء في متاهات شديدة التعقيد ، أعود به إلى القارىء لأحدثه ببساطة عن بعض الصور الشعرية في خليجنا العربي ، وله بعد ذلك أن يصنف كل قصيدة حسب ذوقه الفني ... لأن ذلك يتوقف في الدرجة الأولى على مدى فهمه لما يقرأ ، على ألا يتخذ من الموضوعات قياساً ؛ لأن الشاعر الذي يعتمد على الموضوعات لن يأتي بجديد ... وسيظل مرتبطاً بصورة أو بأخرى بوحدة الموضوع ، فلا يتحرك خارج الإطار المحدد له .

من الذاكـرة :

لقد كنا قبل ربع قرن ـ أو يزيد قليلاً ـ لا نكاد نسمع عن قصيدة جيدة ، إلا ونتسابق لكتابتها وحفظها ... خاصة ما يذكرنا بالتراث ، ويشدنا إليه ويعيد فينا الحنين إلى أمجاد عريقة ، تخضعنا لمقاييس يضعها الشعراء أنفسهم ، دون أن يكون لنا خيار .

وعندما تعصف الحروب بالعالم ـ خاصة أوربا ـ وإذا بإفرازات القلق ، والضياع ، والانهيار وعدم الثقة تنعكس على الفكر ، لتعطي تصورات تحددها ظروف الحياة القاسية في أوربا ... وإذا بنا نحن الذين تفتحت أمامنا أزاهير الوعي ، في نهم دائم للاغتراف من مناهل الثقافة والفكر الأوربيين . وإذا بتلك الإفرازات تصبح جزءاً من الحضارة الأوربية التي فرضت علينا بحكم حاجتنا للثقافة والفكر ... فإذا نحن خارجون عن جادة الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ومن تبعه من أعلام الأدب في القرون الأربعة الأولى من الهجرة لننطلق مع دعوة التجديد لنحدث في شعرنا أشياء مختلفة في المعنى وفي المبنى ... وإذا الموضوعات الشعرية تصبح غير واردة .

وإذا بخالد الفرج : ينطلق كاسراً الطوق مع التزامه بالعروض ؛ ليتحفنا بأحاسيس لم تكن مطروحة من قبل ، فلا يتغنى بالأطلال ... ولا يبدأ بالنسيب ، ويختم بالمديح كما هو المألوف ... بل نراه يجدد في المضمون ؛ ليبعث فينا دفعة التجديد والحداثة :

(١)

... قـال هـذا

ثـم ولـى غـاضبـاً

ليس يـدري أي صـوب يقـصـد

وجـهـه أشبـه بالرمـل

سفـت فـوقه الريـح

عبوس أجعد
تارة
يهرع في مشيته
وتراه تارة
يتئد
يقصد الغابة ؟
لا
النهر
لا
تارة يمشي وأخرى يقعد

(٢)
قالت الكبرى
وأومت نحوه
لم لا يبدي لنا
قصته !
إنه من أجمل الناس
على ما به
من خلق
لا يحمد
قالت الصغرى
لقد قابلته

فرأيت الحب فيه ماثلا

وعليه الكبرياء والكمد

(٣)

وأتى الراعي

على أكتافه

رزمة يحملها

أو مزود

قائلاً :

إن فلانا قد قضى

ولقد بادرت في

دفني له

وإذا الرزمة

ديوان به

شعره

أجمل

ما خطت يد

قصة راع أوردها الشاعر ، ملتزماً الشعر العمودي في الوزن والقافية . أخذنا بعض أبياتها فجاءت على تلك الصورة وتعالوا نرتب أبيات خالد الفرج على وضعها الأصلي .

قال هذا ثم ولى غاضباً ... ليس يدري أي صوب يقصد

وجهه أشبه بالرمل سفت ... فوقه الريح عبوس أجعد

تارة يهرع في مشيته ... وتراه تارة يتئد

يقصد الغابة لا النهر لا ... تارة يمشي وأخرى يقعد
يحصب الجو بما في يده ... ويكاد الفم منه يزبد

لكن قبل خالد الفرج شهدنا من طرح بشعره معالجات ، وقضايا لم تكن مطروحة في الخليج من قبل ... فلقد رصد الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف المبارك : ممارسات بريطانيا في البحرين ... بل في الوطن العربي كله ... وساءه ذلك ثم آلمه أكثر أن بريطانيا كانت تمارس عنجهيتها وهي في الانحسار عن ممتلكاتها التي كانت لا تغيب عنها الشمس فسجل ذلك شعراً عمودياً لكنه جديد ... مع أنه سبق خالد الفرج بنصف قرن :

أوكل يوم للعدو إغارة ... مشنونة في هذه الأرباع
طمع طبيعي أماط مجاهراً ... عن وجهه المربد كل قناع

ثم قوله :

أليس قد شابت بريطانيا فما ... لها في من الملك لا تستنيب
هل فغرت فاها لبلع الورى ... واستعملت في الخبث كل الضروب
سياسة نفذها لطفها ... فكل قطر فيه منها دبيب

وبعد عبدالعزيز آل مبارك ... وبعد خالد الفرج جاء إلى الساحة عشرات الشعراء ، يحملون راية التجديد ويدعون الحداثة ... فهل قدموا لنا شيئاً جديداً يلامس قلوبنا ... ويتلمس إحباطاتنا ؟ أم أنه لا يعدو كونه خواطر ، ورؤى تواردت لدى البعض فدبجها لتأخذ سبيلها إلى الورق ، وتصبح بعد ذلك كلاماً مقروءاً ؟

وتعتبر البحرين من أوائل دول الخليج ، التي أخذت بالتعليم النظامي ، والذي يتتبع لمراحل تطور الأدب في البحرين ، يجد أن أوائل الستينات هي نقطة الانطلاقة الحقيقية للبناء الواقعي الجديد حيث أن تلك البدايات كشفت عن إمكانيات ... وطاقات أدبية واعدة لدى الشباب ، تعتبر الآن الوجه المضيء للحركة الأدبية الحالية في البحرين .

وفي البحرين حيث يلعب الواقع المرير ... وصراع الإنسان الفقير في الخليج مع البحر ، والظلم عبر قناع تاريخي هو تراث البحر ، وقد لعب هذا الواقع إلى جوانب عوامل أخرى ... منها : الإبقاء على الإطار التقليدي للشعر سواء ما كان منه في منحاه الفني امتدادا لتراث فترة الانحطاط الحضاري ... أم ما كان منه شعراً مناسباً حياتيا أم شعراً رومانسياً ... أم ما كان منه في محتواه يقع ضمن إطار الفكر التقليدي .

فالتفات الشاعر الواقعي في البحرين ، لما يعاني منه الإنسان الفقير الكادح خاصة إذا كان الشاعر ينتمي إلى هذه الطبقة ـ قد يحدد ملامح صورة الإنسان الآخر ، الذي يتعاطف معه ... ويلتزم بقضاياه .

وقد غذت هذه الالتفاتة الواعية ، التجارب الشعرية الجديدة بطاقات قوية ، هي مزيج من الشعور الإنساني ، ووضوح الرؤية اللازمين للتطور الفكري وقد برز مؤخراً من هذه الإرهاصات عدد من الشعراء مثل فوزية رشيد ـ حمدة خميس ـ علي الشرقاوي ـ قاسم حداد ـ أحمد محمد آل خليفة ـ علوي الهاشمي وآخرون .

أما في الكويت فيقول الأستاذ خالد سعود الزيد :

« لم يكن هناك شيء يطلق عليه أدب أو أدباء ... حينما نزح عدد من الناس إلى الكويت وتجمعوا فيها وأسسوا لهم حكومة يرأسها صباح الأول ... ثم من بعده أبناؤه وأحفاده » .

لكن ما إن بدأ القرن العشرون يطل حتى أخذ التعليم في الانتشار وأخذ رواد الصحافة والفكر يشقون الطريق ؛ لتتبلور الحركة الفكرية وتزدهر في بداياتها الأولى ... وكان للتجارة والغوص الفضل الأول في تنشيط الحركة الأدبية وبروزها لتبشر بطلائع نهضة فكرية عريضة ، قامت على همم الشعراء والأدباء من الشباب ، مهدت لها روح أبية عريقة الأصول تمتد جذورها إلى أقدم شعراء العربية في عصورها الأولى . ثم تتطور الحياة الفكرية لكن مع التزام بتلك الجذور الأصلية .

إلا أنها تنبعث هذه المرة على دقات طبول التحرر في الوطن العربي ؛ ونغمات الثوار التي امتدت من المحيط إلى الخليج منادية بطرد الاحتلال حيث تواصل العرب

بعد طول اغتراب ، وتقارب الأشقاء بعد طول فرقة ، فتفتحت مواهب جديدة لمعت خلالها أسماء جديرة بالدراسة : كالسبتي والعدواني والفايز وخليفة الوقيان وخالد سعود الزيد ، وعبدالله الأنصاري .

ولم تكن الحال في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية بأفضل من ذلك ... بل تكاد تكون أسوأ إذ ظلت هذه المنطقة تعايش الفتن والقلاقل وانعدام الأمن والفقر والجهل حتى عام ١٣٣١هـ .

وحينذاك بدت تتلمس طريقها نحو الحياة الأفضل ... فأخذت تباشير النور تزداد توهجاً ، بافتتاح المدارس والعمل على نشر التعليم ، الذي جاء متأخراً عن مسيرة التعليم في الخليج (الكويت والبحرين) بحوالي ربع قرن ... ومع ذلك فإن عدداً من أبناء البلاد اتيحت لهم فرصة السفر إلى البحرين والكويت والعراق ؛ لتلقي العلم والاغتراف من مناهل الثقافة والاطلاع عن كثب على مضامين النهضة الفكرية وما صاحبها من دعوات التحرر والتجديد .

فبرز المسلم والجشي ، وأحمد الراشد وعبدالرحمن العبيد وكل واحد من هؤلاء يمثل اتجاهاً مستقلاً ... وكان تجديدهم مقصوراً على المضامين ، دون التعرض للأشكال وإن كان بعضهم قد حاول التغيير في الشكل إلا أنه ظل مرتبطاً بكل المقاييس الفنية المتلازمة مع النظام العروضي كالأستاذ محمد سعيد المسلم ، الذي أراد أن يبرهن لنا على أن التجديد شيء أفضل من التقليد ، وأن المفاهيم والكلمات والموسيقى هي التي تصنع الشعر ، كقوله في قصيدة (الحروف الخضراء) :

تلك الحروف ... مناجم من عسجد
ومشـارق من أنجـم
وغمائم خضراء ... ممرعة خصيبة
ومشاتل للنور ... في صحراء ليل مظلم
جدباء ... تمنحها السماء عطاءها
فتبارك الأرض الخصيبة

حييت يا وطن العروبة
يا مشتل الإشعاع
يا معطي الأهلة في سخاء
يا صانع التاريخ ... والأمجاد يا هبة السماء
لك في الحياة رسالة ... هبطت عليك من السماء
فصدعت تنشرها ... فمجدت الحياة
لك في الحياة رسالة ...
خلدت على مر الزمان
فاصدع بها ... يا ابن الحياة
فالموت يخترم الجبان

لك من ضوى التاريخ ... أقباس
وفوج من شموع
وأنت وارث أنبياء ... حملوا رسالتهم ... وساروا
يغسلون الليل ... بالدم ... والدموع
أعظم بها تلك الرسالة ...
هي في جبين الدهر هالة .

وفي عمان ... لم تكن هناك حياة أدبية بالمعنى المعروف ... وإنما كان هناك شعراء لا يعدو كونهم كتبة مناسبات ... ومع ذلك فهم من القلة بحيث لا يذكرون ... إلا أن أفراداً قليلين جداً أتيح لهم الخروج من التابوت : كالمرحوم الأستاذ عبدالله الطائي ، الذي سافر إلى الخارج هارباً من الجهل ، والأمير صقر بن سلطان القاسمي : الذي أتاح له موقعه أن يسافر إلى خارج منطقة الخليج ، ويلتقي بأدباء مصر ولبنان وسوريا ... وهلال بن بدر البوسعيدي : الذي تبوأ مناصب في مسقط أتاحت له أن يقول ما يريد سالكاً طريق التوجيه .

ولعل الفترة التي شهدت بداية دخول الحياة الثقافية الحديثة في قطر ؛ تعد فترة قصيرة نسبياً إذا هي قيست بجيرانها ... فلا يمكن أن تتضح كل معالمها ونتائجها ...

فلم تكن لها تلك المعالم البارزة ... غير أن جيل الشباب يبشر ببواكير نهضة ... فكرية خلاقة ... مع أنه لم يزل في مرحلة التكوين ... ونتاجه لم يزل في مرحلة النمو لأن النقلة المفاجئة التي شهدها المجتمع القطري على إثر التغير الاقتصادي ؛ قلبت الكثير من القيم والمفاهيم التي كانت سائدة في هذا المجتمع التقليدي المحافظ الذي يحافظ على الموروثات ويتشبث بها .

ولأن الأدب الحديث غلبت عليه النزعة الرومانسية ... فالتجديد عند هؤلاء الشباب لم يقتصر على موضوعات الشعر ، والأفكار والمضامين فحسب بل تعداها إلى الشكل الخارجي للقصيدة ؛ لإعطاء الدليل على القدرة على التغيير والتجديد ... وعلى رأس هؤلاء مبارك بن سيف وعبدالرحمن المناعي .

التـــــراث :

وأول ما يلفت الانتباه في الشعر الخليجي المعاصر ، هو التمسك بالتراث ... والتراث في الخليج هو (الغوص) و (الفلاحة) ... وقد عالج محمد الفايز موضوع الغوص بشكل موسع ... ولو أنه سبق زمانه بقرن لاستطعنا أن نسمي شعره ملحمة الغوص :

عريـان يمنـح لؤلـؤا وقـلائـدا لـولا حـبـال شـدت وإزار
عيـناه تـحـت دجـى العبـاب نـهـاره ويـداه تحت سرى الشراع منار

وقـــال :

يا بحار الملح فيك ألذ من عنب الدوالي في المدينة
فخذي شراعي يا رياح ... خذي السفينة
سأعيد للدنيا حديث السندباد ... ماذا يكون السندباد ؟
شتان بين خيال مجنون وعملاق تراه ... يطوي البحار على هواه

ويصف مبارك بن سيف (الغواص) عندما يعود إلى أهله خالي الوفاض :

أحمل الخيبة والخيش على ظهري الهزيل فكأني أحمل الحزن وأكفان مماتي
هـكـذا تـمـضـي حـيـاتـي هكذا عمر قضيناه طويل

أما عبدالرحمن المناعي فيصور ما يتعرض له الغواص أحياناً فلا تعود إلا أخباره :

لا تشقي الجيب أمي إن أتوك واجمين فأنا في البحر ألهو منذ آلاف السنين
لا تقولي ضاع ابني في عداد الغائبين صرختي ضربة مجداف وقبري (بو الحنين)

لكن أحمد محمد آل خليفة : يصور لنا في وضوح فرحة العودة من البحر (القفال) في هذا المقطع من قصيدة (الشراع المتمرد) :

إذا (القفال) إن هفت قلوب يحركها الحنين إلى الديار
ومدت أشرع بيض لطاف تسير على جناح الادكار
تلف حبالها أيدي رجال لهم صيت يتيه مع الفخار
وغنى كل (نهام) عريق بموال يذوب مع النهار
وفي عرض الشواطيء فاتنات ترددادي للإياب على انتظار
تردد أغنيات الشوق لحنا وتشدو مثلما تشدو القماري
فتلك تريد والدها وهذي تريد أخاً تضرب في البحار
وذا ولد أتى يبغي أباه وذا جار أتى للقاء جار
وتزدان البيوت ويزدهيها أهازيج الكبار مع الصغار

ونترك البحر بعد القفال لنعود إلى اليابسة ، فنعيش مع الفلاح في معاناته ومعانقته للأرض ، وهي معاناة مليئة بالألم والشقاء يصورها على الخليفة في هذا المقطع :

... فاعتر قلبي شعور النهر
حين النهر ... تضنيه عذابات الغرين
فتسربت ... أتيت الهاجس المغرم
كانت عينك المجروحة الهدب سماء
فاحضنيني واشربيني
في تباريح الظماء قطرة ماء

والفلاح ملتصق دائماً بالنخلة ، يحنو عليها ويغازلها فتبادله حباً بحب ، في الغزل يقول الشيخ محمد العبدالقادر :

كأن صفوف النخل في عرصاتها صفوف عذارى جملتها الغلائل
إذا روحت ريح الشمال رؤوسها تميل كما مال المحب المواصل
فيا حبذا برد النسيم بظلها ويا حبذا ذاك النقا والمنازل

أما يوسف بوسعد فهو ينظر إلى النخيل بإعجاب ، يتعانق فيه عشقه وحبه للقاء بتلك النخلات ، التي يلتقي في ظلها بمن يحب ... تتمايل إعجاباً وتهز رؤوسها فرحاً

بلقاء المحبين :

والتقينا فإذا النخل تمالا يتمايلن يميناً وشمالاً
وإذا الأزهار تختال اختيالا وإذا الدنيا سرور وصفاء

فلسطين :

ولما كانت مأساة فلسطين هي أهم مآسي العصر الحديث ... فقد دارت حولها أحداث ، وقامت حروب ، وتدخلت الدول الكبرى لصالح العدو الصهيوني ... ولم تستطع هيئة الأمم المتحدة أن تفعل شيئاً ، من أجل رد الوطن السليب إلى أهله ... كل هذا عايشه ، وعاناه الشعراء في النصف الأخير من القرن الحالي .

فها هو إبراهيم العريض يخصص ملحمة قائمة بذاتها عنوانها « أرض الشهداء » يقول في مطلعها :

يا فلسطين ... وما كنت سوى
بيعة الأرض على كف السماء
اشهدي ... أن بياني قد روى
فيك ما يرضي قلوب الشهداء
هذه التربة ـ مذ غنى بها أهل الحداء
لم يطهرها من الرجس سوى تلك الدماء
كم زكا المسجد من أعرافهم بعد الفناء
كم بكى الغيث على أجسادهم وسط العراء
كم ربيع مر لم يعرج عليهم بهناء
فاستمر العود عوداً ما به أدنى رواء

ومع نكبة فلسطين أصبح الجهاد حلماً يداعب خيال كل غيور ، وأصبح الجهاد فخراً يعلو على كل الأوسمة ، كما يقول صقر بن سلطان مخاطباً المجاهد :

أزل عن جراحك ضيق الضماد ... وكلها إلى النسمة العارية
وحطم بكفك هذا الوسام ... ومزق به الخرق القانية
فقد كللتك بغار الفخار ... ولؤلؤة الوقعة الدامية
أخي بعض بعض ضباب الوجوم ... فقد ينقضي العمر في ثانية
هب النفس تهدأ للنائبات ... أننسى جراحاتها الماضية

وفلسطين هي الثأر لدى غنيمة زيد الحرب :

تذكرني ... أنات قلبي ... بفلسطين الشهيدة
كم شهيد في ثراها رووا الثأر قصيدة
صاغها للكون لحناً فغدا الثأر عقيدة

لكن خالد الفرج : الإنسان الذي عاصر قضية فلسطين ، وسمع وشاهد المهازل التي تمت بها مهزلة من أكبر مهازل التاريخ ... يتحدث عن القضية من كل جوانبها ... ثم تلك المهازل التي مثلت وراء كواليس المؤتمرات ، بدءاً بوعد بلفور المشؤوم :

بلفور ... إن اليوم عيد ... فالبس له الثوب الجديد

وبعد بلفور تأتي الولايات المتحدة ، لتعلن اعترافها بالكيان الصهيوني :

ودولة تدعي الحرية اعترفت بواقع الأمر فوراً في فلسطين

وجاءت النتائج مزرية مخزية ... إذ خرج آلاف اللاجئين يبحثون عن مأوى بينما الغرباء يحتلون أرضهم ... وقد أصيبوا بشتى الأدواء ، والأمراض وقاسوا آلام الحر والبرد والجوع ... ولم يكن استقبال العرب للفلسطينيين بأحسن من معاملة اليهود لهم :

اللاجئون من الرمضا إلى النار عار عليكم جميعاً أيما عار

وكان ما حدث في فلسطين نتيجة للتفكك ، والتمزق الذي كانت تعاني منه البلاد العربية :

هذي بلاد العرب في ضعفها لا يعطف الجار على جيرته

وعندما أراد العرب أن يتحدوا ولو لمرة واحدة أنشأوا جامعة الدول العربية . وكان الشاعر يأمل أن تتاح لها فرصة دورها الإيجابي ، في جمع كلمة العرب وتوحيد صفوفهم لكن خاب أمله :

عقدت اجتماعك يا جامعة فهل أنت مبصرة سامعة
سئمنا الكلام فهل من فعال فإن الأعادي بنا طامعة

ومن حسن حظ الشاعر ، أن توفى قبل أن يشاهد حرق المسجد الأقصى ، واحتلال القدس ، واجتياح لبنان ، وقتل الآلاف من اللاجئين العزل .

الإنســـــان :

والاتجاه الغالب في الشعر الخليجي المعاصر ... هو الاتجاه نحو الإنسان بما فيه من قلق ... وخوف ... وسباق مع الزمن ... وما تحيط به من إحباطات وهزائم داخلية ، وتكرار بغيض لكل شيء ، فيضيق ذرعاً بهذا التكرار كما ضاق به أحمد مشاري العدواني :

رحلت عنكم
ضقت بكم جواراً ... ضقت بكم دياراً ... تجمدت مشاعري ...
تجهمت خواطري ...
وماتت الدهشة في وجداني
وصار كل ما أسمع أو أرى مكرراً ...
مكرراً يقتل شهوة الحياة في المعاني
وأصبحت علاقتي به ... علاقة الأطلال بالمعول

هذه صورة ... أما الصورة الأعم فهي صورة الهزيمة داخل الإنسان ، كما يقول غازي القصيبي :

منطرح هنا في حفرة الهزيمة
أراقب العناكب الدميمة
أنسج فوق أضلعي خيوطها
أراقب الصباح والمساء
يتابعان الرحلة العقيمة

والهزيمة تولد الضياع ، كما لدى أحمد آل خليفة :

أرى الطريق ولكن رغم معرفتي
قد ضعت من دونه في شبه مفترق

لكن ما أسباب هذا السأم ، والهزيمة والضياع ؟ هناك عدة أسباب لعل أهمها

الصراع من أجل البقاء ، كما لدى علي عبدالله الخليفة :

وانتكاسات الصراع
في بحار صمتها الداجي يخيف
آه لكن الرغيف
زادنا والكل من جوع يصيح

هذه واحدة ، أما الثانية فهي أن العلمَ مع كل معطياته الخيرة وجه إلى صنع الدمار كما يقول أحمد آل خليفة :

حلم الشر في جفون البرايا
وخيال الحتوف والأرزاء
لعنة تورث الجنون ولازال
صداها يرن في الغبراء

وتعود الهزيمة لتطل برأسها رافضة أن تختفي من الذاكرة .

وهي هزيمة في كل شيء تنمو وتتبلور داخل الإنسان ، كما يقول محمد حمد الصويغ :

وعند المنعطفات الليلية ـ في قريتنا المظلمة الجرداء من الشوق
رجعت أكابر حيناً ـ أضحك حيناً ـ أرقص حيناً
لكي أرجع من معركتي اليومية ـ مع وجهي الأحمق
دون حياء ـ أرجع مهزوماً

ويصور محمد الفهد العيسى ، مأساة الضياع بشكل أقرب لأنه فقد النطق إذ اغتالت كلماته أدواء العصر :

أحرف كلماتي تتكسر فوق شفاهي
على مشنقة لهاتي تغتال
تتكسر تخنق

أنـا الإنسـان الضائـع
في وجـدان البـشـر
الإنسـان المذبـوح
على مائـدة الغليان الموبـوءة

ومع كل تلك الهزائم والانكسارات ، فإنه يفتح عينيه في الصباح ، ليجد نفسه محاطاً بالممنوعات ليس فقط على لوحات المرور ... وإنما حتى على الأوراق والدفاتر ، والحيطان ولذلك نجد سعيد الصوينائي يضيق ذرعاً بكل تلك الأوامر :

ممنوع أن ترسم حباً ... أو ترسم قلباً
ممنوع أن ترسم طفلة أو بيتاً تسكنه الألفة
أو تكتب شعراً ... أو تصنع للناس المسرح
ممنوع أن تتحدث والأعشاب ... أو ذاك البحر الأزرق ـ ممنوع .
... ممنـوع ... ممنـوع ...

وقد ولدت كل هذه الإحباطات سياجاً من الحزن ، والكآبة واليأس كما تقول جنة القريني :

نحن أبناء الكآبة قد ولدنا في الشقاء
عيشنا كان سراباً ومراعينا هباء

وتقـول في موضع آخر :

ماذا ترانـا نرتجـي يا صاح من هـذي الحياة
أرواحـنـا في غربـة والخوف يبلغ منتـهـاه
والصـوت فيـنـا أبكـم كـاد يمـزقـه صـــداه

المجتمع :

والشاعر جزء من المجتمع ... له نفس الشعور ونفس المعاناة ... فهو ابن المجتمع ... يرى من خلال نفسه كل الصور ، التي تضيء وتخبو على لوحة الحياة فيجسدها كلمات مضيئة تكون في بعض الأحيان صوراً معبرة ... وأحياناً أخرى جزءاً من المعاناة ... وفي بعض الأحيان تجمع بين الصورة الظاهرة ، والصورة الباطنة كما لدى قاسم حداد :

لسنا وحدنا ... ما ضيعونا
إنما ضاعوا بلا ماء على الصحراء

أو كما لدى علوي الهاشمي :

طابور الحزن الواقف يمتد طويلاً
أبصره ... يمتد طويلاً
الطرف الناظر يرتد كليلاً

وحتى تتعامل مع الناس في هذا الزمن ، عليك أن تتذكر أن تتعامل مع من يهتمون بنفس اهتمامك ويقدرون أحاسيسك كما في قول الشيخ عبدالله العبدالقادر :

يا أيها المفتون بالبيض الدمى
أنهاك لا تصحب سوى المفتون
إن الشجي متى يصاحب خالياً
عاد الشجي بصفقة المغبون

لكن لماذا كل هذه التحفظات ؟ يجيب غازي القصيبي :

أصافح نفس الأيادي بالعطر والمكر ...
ألمح نفس الرياء ... ونفس الخداع ... ونفس الغباء ...

وتصور لنا سعاد المبارك : المجتمع المادي ... وما جلبه من السلبيات فقلب

المفاهيم الخيرة وحولها إلى مصالح :

ذابت الأحلام وماتت في بلادي كل قيمه
وجرى الدمع دماً يبكي على الحق السجين
أضحت الأخلاق والآيات عملات قديمه
وانتهى الحب وماتت في بلادي كل قيمه
كلما عدت أراني في حمى أهلي غريبه
وهمو مثلي أغراب على أرض سليبه
والكلاب السود ترعى والخنازير تنادي
ربما تـأكلنا يوماً وباسـم المدنيـه

وأحمد محمد آل خليفة : يريد من البشر أن يكونوا شعراء يحسون بأحاسيسه ويستمعون لأقواله ، وإلا فهو الجحود والنكران ، وهذا واقع الحال :

يـرى النـاس تـنـكـره في الوجـود
فـيـومـض في مـقـلتيـه العتـاب
ويـفـزعـه جـهـلـهـم بـالحـيـاة
فـيشـرق بـالهـم والاكـتـئـاب
ومـا في جـمـوعـهـم من يـهـيـب
إذا ما دعـا شـاعـر وأنـاب

الحـــب :

والتعامل مع المرأة في الشعر المعاصر له لون آخر ، تسوده البساطة في التعبير . وكما لدى الرجل غزل فإن لدى المرأة نفس الشعور ... وقد يكون أعمق وأصدق ، وقد يكون تمويها وتلاعباً بالكلمات ، لكن الذي لا أشك فيه أن محمد الفهد العيسى لديه عاطفة صادقة :

الحـب من كـفيـه ثـر كـالنـدى
كالطـل في أرجـوحـة السـحر
كـألـف عـقـد من جـمـان
يعذب الأجاج عند شاطئيه ... يرتوي حنان

ويقـول فـي موضـع آخـر :

يعذبني الشك منك ... وخوفاً عليـك
وحبك غابات نخل لصدري ... تروى بحزني
ومن نهر (لا لست أدري) ونبع تدفقه من يديك

وناصر بوحميد : يرى أن الحب يتطلب شجاعة وجلداً ... أما الشكوى والألم فلا فائدة منهما :

أواه كم يبتئس قلبي بـأشـجـانـه
يحـب نـوح الصبا في موت ألحـانه
مـــا أنـــت يـــا مـن أرى
خـفـق خـطـاهـا الحـسـان
لا تـبـلـغـيـــن الـــذرى
عـلى ذراعـــي جـــبـــان

وتصف ليلى العثمان صدق الشعور :

صـــار دفئي بعـد صـــبر وعـــنا
شـمعـة تبـكي وروحـاً ذائـبـــه
قـد وهبـت النـفس حبـاً ورضـا
ووفـائـي لـم تـشـــبـه شـــائـبـه

وللرسائل لدى المرأة قيمة كبرى ، خاصة إذا كانت رسائل تتحدث عما في القلب كما عند خزنة بورسلي :

هذه الرسـائـل منـك كم ناجيتها وقرأتها
حتى حفظت حروفها من طـول ما رددتها

وينفجر الحب بركاناً ملتهباً ويتحول إلى داء دفين كما لدى الشيخ عبدالله العبدالقادر :

إن المـحـــبـة داء لا دواء لـه
إلا السـلو ومـالي بـالسـلو رضـــا

والشيخ عبدالعزيز بن حمد آل مبارك : يحدثنا عن اللقاء كوسيلة لنيل ما يطيب للمحبوب من الهوي :

إذا كـنـت تـلقـى من تـحب لقـاءه
وتجـعـله من صـده عنـك ما اشتكى
فقد نلت ما ترجو وطاب لك الهوى
وانهـلـك المحـبـوب وصـلا وعـلـكـا

البدايات الصحفية في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية

البدايات الصحفية في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية

قال الله تعالى : ﴿ **ن ... والقلم وما يسطرون** ﴾ .

وجاء في الحديث الشريف : « إن من البيان لسحراً » وقال ﷺ : (الساكت عن الحق شيطان أخرس) ، وجاء أيضاً ما معناه : أن أحدكم ليقول الكلمة مازحاً تهوي به في النار سبعين خريفاً فلما سئل ﷺ أو نؤاخذ بما نقول ؟ أجاب ﷺ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟

هذا ما جاء في القرآن والسنة ، من تكريم وتوجيه وتحذير فإن قسمه سبحانه وتعالى بالقلم ، يدل على كبير المنزلة وسمو الغاية ، وعظيم المنة الإلهية على خلقه .

وامتداح الرسول ﷺ للبيان الخلاب ومقارنته بالسحر يدل على الإعجاب .

لكن يأتي بعد ذلك التحذير ، والتهديد والوعيد لمن لا يحترم الكلمة ، ويقدرها حق قدرها ولا يعطيها قيمتها السامية ومكانتها الرفيعة . ولما كانت الصحافة الجهاز الكبير الذي تحمل مسؤولية الكلمة، وأفسح لها مجال السطوع والجهر وأمدها بمقومات الانتشار والشمول ، لتستوعب جلائل الأشياء ودقائقها ، وتعبر عن كبار الأمور وصغارها ، وتعطي كل شيء مسماه ... وتضفي على كل شيء صفته ومعناه ... فإن حديثنا سيكون عن جزء من جهاز ضخم برز واختفى في فترة من فترات التاريخ الحديث ، وإني أستعين الله في ذلك وأستميحكم عذراً من كل خطأ وتقصير وأردد مع النمر بن تولب قوله :

اعـذرني رب من حصـر ومن نفسي أعالجها علاجا

وإنني في هذا الحديث لن أكون ناقداً ولا محللاً ولن أقف أمام البضاعة لأقول

هذا جيد وهذا رديء ، فإن ذلك ليس من حقي بل هو من حق غيري ، ممن يقرؤون ويتابعون ويحكمون وإنما سأتولى سرد ما جاد به الزمن في فترة من الفترات لئلا يهمله التاريخ فلا يجد مع التطور وزحمة الأحداث من يتفرغ للبحث في زوايا التاريخ عن هذا التراث .

مدخل :

لم تكن المنطقة الشرقية بشقيها الأحساء والقطيف في يوم من الأيام خلواً من مشاعل الفكر ورسل الثقافة وحملة الأقلام .. بل شهدت على مر العصور وتعاقب الأجيال فيضا من الشعر ، والنثر مصوراً نفثات القلوب من أشجان المحبين وخطاب المترسلين ووعظ الزاهدين ممن ذاع صيتهم ، وسجل التاريخ مآثرهم وآثارهم ... فلا تزال بصماتهم ظاهرة بين سطور التاريخ ، وعلى ألسنة الرواة فلا يكاد الحديث يتطرق للشعر الجاهلي حتى يبرز اسم عملاق ضخم سارت أقواله على كل لسان على مدى الأيام ، ذلكم هو طرفة بن العبد البكري القائل :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ويأتيك بالأنباء من لم تبع له ... بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد
لعمرك ما الأيام إلا معارة ... فما اسطعت من معرفتها فتزود
ولا خير في خير ترى الشر دونه ... ولا نائل يأتيك بعد التردد
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... فإن القرين بالمقارن مقتد

ها هو شاعر أشار إلى الصحافة ، في بيته الأول قبل مئات السنين وغيره عشرات ممن يحفل بهم تاريخ الشعر في العصر الجاهلي .

وبعدما سطع نور الإسلام ، وامتدت أضواء الهداية إلى هذه المنطقة كان أهلها سباقين إلى اتباع الحق ، وسلوك سبل الهداية والرشاد فبعثوا وفداً منهم في السنة الخامسة للبعثة المحمدية يتكون من أربعة عشر رجلاً علي رأسهم المنذر بن عائذ .

وفي السنة التاسعة للهجرة ، بعثوا وفداً من أربعين رجلاً على رأسهم الجارود ابن المعلي بن حسن العبدي ، الذي كان نصرانياً حسن المعرفة بتفسير الكتب عالماً بالسير بصيراً بالفلسفة والطب ... وقد أنشد بين يدي الرسول ﷺ :

يا نبي الهدى أتتك رجال قطعت فدفداً وآلا فالا
وطوت نحوك الصحاصح تهوي بكميات كأنجم تتلالا
تتقي وقع بأس يوم عظيم هائل أوجع القلوب وهالا
ومزاد لمحشر الخلق طرا وفراقاً لمن تمادى ضلالا
نحو نور من الإله وبرهـ ـان وبر ونعمة أن تنالا
خصك الله يا بن آمنة الخير بها إذا اتتك سجالاً سجالاً
فاجعل الحظ منك يا حجة الله جزيلاً لاحظ خلف أحالا

وقد أسلم هو ومن معه على يد رسول الله ﷺ ، فسر بهم الرسول العظيم ﷺ وقربهم من مجلسه ، وتجاذب معهم أطراف الحديث في حديث طويل ليس هذا موضعه ، والتاريخ الإسلامي في عهد النبوة يسجل بالفخر والاعتزاز أسماء ومآثر المئات منهم ممن كان لهم باع في دنيا الفكر .

ومع التسلسل التاريخي تمر بنا أسماء العديد من المشاهير :

الصلتان العبدي ، وقطري بن الفجاءة ، والحسن الأعصم ثم لما دالت دولة بني العباس والدويلات المعاصرة لها ، أصبحت هذه المنطقة كغيرها من بقاع العالم الإسلامي ، فمن نجا من الاحتلال الأجنبي أصبح نهبا للقبائل يتوارثه ملوك الطوائف وشيوخ العشائر ... فأغلقت المدارس ودمرت المكاتب ... وبذلك كسد سوق الفكر وانطفأت مشاعله وهب رجال الشعر ، والأدب يطلبون الأمن في غير أوطانهم حتى استقامت الأمور للدولة العيونية ... فتبع في ظلها شاعر فحل هو جمال الدين أبو عبدالله علي بن مقرب بن منصور العيوني المتوفى في منتصف القرن السابع الهجري وله ديوان شعر مطبوع ... ومن أشهر أقواله :

تجاف عن العتبي فما الذنب واحد وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه فواعجبا إن سالمتك الأباعد

ثم تطوى الصفحات في سكون ، حتى مطلع القرن الحادي عشر فيحدثنا المحبي في كتابه : (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) وابن معصوم : في « سلافة العصر » عن بعض وجوه الفكر في هذه الفترة فيذكر منهم إبراهيم بن

حسن الأحسائي المتوفى في ١٠٤٨هـ ... والأمير أبوبكر بن علي باشا ، المتوفى في مكة سنة ١٠٧٦هـ وله ديوان شعر مطبوع .

وفي القرن الثاني عشر تتسع الحلقة ، فيبرز العديد من أعلام الفكر الذين تزدهر بهم رياض الأدب وتحظي بهم رحاب المعرفة وبالكثير مما سجلوه شعراً ونثراًوياًتي في مقدمتهم الشيخ أحمد بن عبدالله بن العبدالقادر الأنصاري المتوفى سنة ١٠٧٦هـ ... وكان يشغل في حياته منصب المستشار الأول لحاكم الأحساء عرعر ابن دجين وابنه سعدون ... وقد وفد إلى الأحساء الشيخ الشاعر عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي فكان لاجتماعه بالشيخ أحمد ما أثرى الأدب وأطرب الشعر فخلف من الشعر والمؤلفات الدينية والأدبية العديد الذي لا يزال مخطوطاً .

وتلمع أسماء العبدالقادر وهي أسماء كثيرة وكبيرة مثل الشيخ عبدالله بن أحمد المتوفى سنة ١٢٨٨هـ ... والشيخ عبدالله بن علي العبدالقادر أشهر الشعراء وأثراهم معنى وأرقهم لفظاً بعصره ... ومن عذب أشعاره :

كل ذي شوق عليه　　من جميع الناس ناهي
لست أخشاهم ولكن　　لا أرى اسقاط جاهي
هدهد الأخيار صف لي　　مورداً بين الشفاه
هل ترى الحي عليه　　يأت منبت الجباه
حوله روض عريض　　بعميم النبت زاهي

ومن بين هؤلاء الأعلام ، كان لأسرة المبارك أنجم زاهرة في ليل داج ... وكان لوجودهم مع أسرة العبدالقادر ، وبعض الأسر الكريمة بالأحساء كأسرة الملا والعمير الكثير من الفضل في فتح المدارس ، وازدهارها وانتشار العلم ورفع راية الأدب عالية ... وكان من أبرزهم الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف المبارك : المتوفى سنة ١٣٤٣هـ : وقد ترك لنا شعراً في مختلف الأغراض كان من أبرزها الشعر السياسي ، الذي يبرز لأول مرة في تاريخ الأدب بهذه المنطقة مثل هذه الأبيات :

يا أمة ذهب الخمول بمجدها　　هل بعد ذا الإخفاق ذكر ساع
كم ذا تهضمنا العدا وتسومنا　　سوء العذاب ملون الأنواع

القوم همهم الرقي وهمنا ... في فرقة وقطيعة ونزاع
فخذوا من الغربي خير علومه ... وذروا قبيح خلائق وطباع
لا ترجون من العداة مودة ... إن الأعادي فاحذرن أفاع
فاخش العدو وإن أراك تلطفاً ... فله بذاك اللطف نهش شجاع
لا تحسبن وفاق شعب أجنب ... شعباً ضعيفاً غير محض خداع

وهي قصيدة طويلة تدل على معرفة الشاعر بأحوال الإنجليز آنذاك ... وبعد أن يتحدث عن بريطانيا ، وأساليبها في التفرقة بين الشعوب في قصيدة أخرى يقول :

أليس قد شابت (بريطانيا) فما ... لها في الملك لا تستنيب
بل فغرت فاها لبلع الورى ... واستعملت في الخبث كل الدروب
سياسة نفذها لطفها ... فكل قطر فيه منها دبيب
قد لبست للناس من لينها ... مكراً جلود الضأن صنع الأريب
هم افتنوا بين الرعايا إلى ... أن نشبت بين الرعايا الحروب

ومنها أيضاً :

بد للشرقي من كرة ... تقضي على الغربي عما قريب
ند أفاق الشرق من سكره ... وجد ذاك المستقرع اللعوب
ب من نومه ثائراً ... وكاد منه يستحيل الهبوب
تقاض كل حق له ... مضيماً في سالفات الحقوب

إلى آخرها وهي طويلة ...
وقد انتقل إلى جوار ربه في سنة ١٣٤٣هـ .

ومن هؤلاء الأعلام كان لأسرة المبارك أوفر النصيب ، إذ برز من بين نجومها
م الشيخ عبدالعزيز بن حمد المبارك المتوفى سنة ١٣٥٩هـ وله شعر غزل
منه هذه الأبيات (موشح) :

ى يا نديم ... على الغرام تلوم
سباني ريم ... يحويه ذاك الصريم

محجب ذو دلال   معصب بالجمال

وقده ذو اعتدال   ميال وهو قويم

سقاه ماء الشباب   فاهتز تحت الثياب

مثل الغصون الرطاب   يميلهن النسيم

تضم منه القلائل   يصبو بهن الحليم

وكان إلى جانب هؤلاء الأعلام ، العديد من وجوه الأدب والشعر الذين لا يمكن حصرهم ، أو التمثيل بشيء من إنتاجهم خاصة وأن هذا المقام ليس مقام تأريخ للأدب ، وإنما نمر في عجالة على أسماء مثل (الشيخ حسن بن غنام صاحب كتاب (روضة الأفكار والأفهام) المتوفى سنة ١٢٢٥هـ ... والشيخ أحمد بن حسن بن مشرف وله ديوان مطبوع وتوفي سنة ١٢٨٥هـ ... والشيخ محمد بن عبدالمحسن العبدالقادر مؤلف كتاب « تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد » وتوفي سنة ١٣٩٤هـ .

ويستوقفنا هنا الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي المتوفى سنة ١٣٦١هـ ، فإن له أشعاراً كثيرة في الرد على دعاة التحرر وسفور المرأة ... وهذا يدل دلالة واضح على اتصال الأحساء بعالم الصحافة وتصديه للرد على بعض الدعوات المخال للشرع ، والتي كانت تظهر بوضوح في صحف مصر ولبنان .

إن تاريخ الأدب في هذه المنطقة حافل بالمئات الذين لا يتسع المقام لسرد أسمائهم ، ويكفي الأحساء فخراً أنها كانت منهلاً للرواد من ذوي الفضل مقدمتهم إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب يرحمه الله الذي تتلمذ على الشيخ محمد العبداللطيف ، وكذلك الشيخ عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي قضى في الأحساء ردحاً من الزمان ... وكذلك الشيخ يوسف القناعي الكويت ... والشيخ عبدالله المزرعي العماني ... وسالم بن نوح والشيخ عبد الصحاف ... والشيخ عبدالله بن هجرس ... والشيخ عبدالرحمن بن الكويتي ... والشيخ أحمد العدساني ... والباشا أحمد عزة العمري والشي ابن عبدالسلام المغربي والشيخ مبارك الشامي والشيخ محمد نور المدر المكي وغيرهم تغمدهم الله برحمته .

ولو أن حديثنا عن الشعر والأدب ، لا تسع البحث كما أسلفت لكننا سنقصر الحديث في هذه العجالة على مبحث واحد جمع من كل فن بطرف تجد فيه العلم إلى جانب الشعر والصورة إلى جانب الخبر ... ذلكم حديث الصحافة ، وما أدراكم ما الصحافة ، تلك المادة التي التصقت بحياتنا وأصبحت جزءاً من غذائنا اليومي إلى جانب الخبز الذي لا يستغني عنه إنسان .

مقدمات و إرهاصات :

لم تعرف الصحافة في هذه المنطقة إلا منذ ربع قرن تقريباً ، وقد تقدمتها إرهاصات شحذت الهمم وصقلت المواهب ، وأشرعت الأقلام التي كانت تود الانطلاق لتعبر عن مكنونات النفوس وتسهم في خدمة المجتمع .

فكانت جريدة الرياض التي أصدرها الأستاذ سليمان الدخيل في البصرة ، وجريدة اليقظة التي أصدرها الأستاذ سليمان الصفواني في بغداد ، ومجلة العربي التي تصدر في النجف الأشرف ويشرف عليها الأستاذ عبدالله الجشي ... ومجلتا الكتاب والكاتب المصريتان ، والأديب والعرفان اللبنانيتان والحديث السورية وجريدة البحرين ... كلها كانت تصل إلى هذه المنطقة في أوقات غير منتظمة فتتلقفها أيدي المثقفين .

وبالمناسبة أذكر أنني اشتريت من أحد المزادات بالأحساء مجموعة كاملة من مجلة الكتاب المصرية منذ صدورها في عام ١٩٣٧م حتى عام ١٩٥٠م ... ولعل حديثنا عن الصحافة ، يعرج بنا على المكتبات القليلة العدد والعظيمة الأثر ... فإن أول مكتبة تجارية عرفتها الأحساء هي « مكتبة التعاون الثقافي » لصاحبها الشيخ عبدالله ابن عبدالرحمن الملا ... وكانت تقع في السوق المقابل لمدخل الكوت ... ثم انتقلت إلى مكانها الحالي داخل الكوت .

ومكتبة الزاير لصاحبها الأستاذ عبدالحميد الزاير ، وكانت تقع في سوق (العيش) بالقطيف ... وبعدها انتقلت إلى الدمام ... ثم أسس الأستاذ أحمد عمر بايزيد عام ١٣٧٥هـ المكتبة الأدبية بالخبر ، واستمرت تؤدي رسالتها إلى أن تركها صاحبها وانتقل إلى جدة .

لقد كان لهذه المكتبات أكبر الأثر في نشر الوعي ، وتسهيل سبل الثقافة والمعرفة أمام الشباب ... فكانت ملتقى الرواد من طلاب المعرفة ، وتمدهم بما يحتاجون إليه من قديم المعارف وحديثها ممثلاً في أقدم المراجع وأحدث الصحف والمجلات .

وفي هذه الفترة ، فترة الترقب ... صدرت مجلة صوت البحرين وقد صدر العدد الأول منها في ١/١/١٣٧٠هـ فكان صدورها فتحاً عظيماً في عالم الصحافة الأدبية ، والاجتماعية حيث أصبحت ملتقى لأقلام الشباب من كل أنحاء الخليج العربي ، والجزيرة العربية والعراق ومصر ولبنان ... وساهم في تحريرها العديد من أبناء البلاد ـ أقصد المنطقة الشرقية ـ منهم الأستاذ الشاعر أحمد الراشد المبارك ... والأستاذ عبدالعزيز محمد القاضي ... والأستاذ عبدالله الجشي ... والأديب الشاعر محمد سعيد المسلم ... والشاعر ناصر سلمان بوحيمد .

وفي هذه الفترة توالى إصدار جريدة البحرين ، وأصدر الأستاذ علي سيار جريدة القافلة ... وأصدر محمود المردي جريدة الوطن .

ومما أثرى الحركة الأدبية ، افتتاح المدرسة الثانوية بالأحساء عام ١٣٧٠هـ تحت إشراف الأستاذ عبدالعزيز التركي ، ونخبة من رجال التربية والتعليم فالتحق بها عدد من أبناء البلاد ؛ لمواصلة التحصيل لتصبح المدرسة مركزاً من مراكز الإشعاع بين مناظرات أسبوعية ومحاضرات موسمية وحفلات سمر وتعارف ليجمع ذلك النتاج فيما بعد ، ويصدر في كتاب سنوي صدرت منه ثلاثة أعداد متوالية عام ٧٣ ، وعام ٧٤ ، وعام ١٣٧٥هـ .

وفي عام ١٣٧٣هـ تحظى الأحساء بفتح المعهد العلمي بقسميه الإعدادي والثانوي ، وتحت إدارة وإشراف المربي القدير الأستاذ الكبير الشيخ عبدالله بن محمد ابن خميس ، الذي كان لوجوده على رأس هذا المعهد أثر كبير في إثراء الحركة الأدبية يعاونه أدباء كبار ، ومربون أفاضل أمثال الأستاذ الشيخ مناع القطان ... والأستاذ الشاعر محمد علي العيد ، فكانوا ينظمون المحاضرات الأسبوعية ، ويشرفون على الندوات الثقافية فيصقلون المواهب ويشحذون الهمم ... وقد برز من بين طلاب المعهد العديد ممن لهم مساهمات ظاهرة في مسيرتنا الثقافية .

إن الإحساء في هذه الفترة كانت تعج بالعديد من رجال الفكر ، والأدب الذين قدموا للمساهمة في بناء صرح التعليم ، ووضع الحجر تلو الحجر في ذلك البناء العظيم الذي تحول فيما بعد إلى معاهد وكليات وجامعات ... ولقد استقبلت الأحساء أساتذة

أجلاء من مصر وفلسطين ، والشام لم يكونوا يعملون كموظفين بالأجر وإنما عملوا كمساهمين ... ووضعوا خبراتهم وثقافتهم في خدمة هذه البلاد ، ونذكر منهم مع الشكر والتقدير على مدى الدهر : الأساتذة الأجلاء المرحوم محمد علي النحاس والأستاذ محمد أبو عبية ، والشيخ محمد البناء ، والأستاذ تيسير النابلسي ، والأستاذ مروان راضي الطاهر ، والأستاذ إسماعيل الناظر المحامي .

ومن أبناء البلاد الأساتذة الكرام : الأستاذ عبدالله بن محمد بن خميس ... والأستاذ عبدالمحسن التويجري ، والأستاذ عثمان الأحمد ، والأستاذ محمد عبدالرحمن الشيباني ، والأستاذ محمد العامر الرميح ، والأستاذ حسن خزندار ، والأستاذ عثمان بن سيار وعشرات غيرهم لا يتسع المقام لحصرهم ... كلهم أسهموا في بناء الحياة الفكرية بهذه المنطقة وبذلوا الكثير من الجهد في سبيل ذلك ، حتى غدت هذه المنطقة في تلك الفترة صرحاً من صروح الثقافة والأدب .

ولقد كانت الفترة ما بين عامي ١٣٧٠هـ ـ ١٣٧٥هـ مليئة بالحركة والنشاط والعمل الدؤوب بفرح لا يترك للتفكير في المادة محلاً ... فكانت فترة المراهقة الفكرية ، التي تبعها الانطلاق إلى آفاق المستقبل لتكون لدى العديد من أبناء البلاد الاستعداد للمغامرة بإصدار صحف ومجلات ، تهدف إلى نشر المعرفة دون أي حساب للعواقب مضحين في سبيل ذلك بالكثير من المكاسب والمغريات المادية التي كانت تشدهم بعيداً عن التيار ، لكن روح الشباب الطموح ـ لا أقصد شباب الأشخاص ـ شباب الانطلاقة ـ كانت أقوى تأثيراً وأفعل سحراً فبدأت مسيرة الصحافة على هذا النحو :

الصحف والمجلات من عام ١٣٧٣ ـ ١٣٨٣هـ

أولاً : مجلة قافلة الزيت :

أصدرتها شركة الزيت العربية الأمريكية ، في شكل مجلة شهرية تتولى نشر معلومات عن الزيت ومشتقاته ، ومرافق الشركة وتوزع على موظفي الشركة مجاناً ورئيس تحريرها الأستاذ حافظ البارودي وسكرتير التحرير البرت اردلا .

وبعد صدور ستة أعداد أصبح رئيس التحرير الأستاذ شكيب الأموي ، وسكرتير التحرير الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة ، ثم أصبح الأستاذ سيف الدين عاشور رئيساً للتحرير بعد أن تعاقب على تحريرها عدد من موظفي الشركة ممن لهم خبرة صحفية وتلقوا تدريباً وتعليماً متخصصاً .

لقد أخذت هذه المجلة في التطور لتحتل مكاناً مرموقاً بين المجلات المتخصصة حيث حشدت لها شركة الزيت إمكانيات هائلة مادياً ومعنوياً جعلتها تحتل مكاناً بين الإصدارات ذات الصدى القوي ... فاستكتبت العديد من مشاهير الكتاب والمؤرخين ، والباحثين المختصين في الداخل والخارج ، حتى التقى على ساحتها نخبة من أدباء العروبة .

وقد كانت تطبع في بيروت على ورق صقيل في ٨٠ صفحة ، ثم أصبحت الآن تطبع في مطابع المطوع في الدمام وتصدر في ٥٠ صفحة ، ويرأس تحريرها الأستاذ عبدالله حسين الغامدي يعاونه في ذلك عوني أبو كشك ... وقد صدر العدد الأول منذ حوالي ٢٦ سنة .

ثانياً : الظهران :

جريدة أسبوعية جامعة تصدر بالدمام كل ١٥ يوماً وقيمة الاشتراك ١٢ ريالاً

في الداخل و ٢٤ ريالاً في الخارج ... أصدرتها شركة الخط للطبع والنشر والترجمة ، وتطبع في مطابعها ... ورئيس تحريرها المسؤول الأستاذ عبدالله عبدالرحمن الملحوق ... ومدير التحرير الأستاذ عبدالكريم الجهيمان ... وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ ١٣٧٤/٥/١هـ ... تحول اسمها إلى ـ أخبار الظهران ـ وتولى رئاسة تحريرها الأستاذ عبدالكريم الجهيمان ، وأصبح الأستاذ سعود العيسى سكرتير التحرير ... وقد استمرت في الصدور في حجمها المعتاد ، وازدادت الصفحات إلى الضعف وتوالت أعدادها إلى العدد ٤٤ الصادر بتاريخ ١٣٧٦/٦/٢٩هـ حيث توقفت لأسباب لا نعرفها .

ولقد كانت خلال تلك الفترة ، مدرسة صحفية ذات شأن تتبارى على منبرها أقلام الكتاب والأدباء الشباب ... وكم شهدت ساحتها من معارك أدبية كانت مثار الجدل ، وعنوان البحث الجاد عن الأفضل ... وكان لوجود الأستاذ عبدالكريم الجهيمان أثره الكبير في استقطاب العديد من الأدباء والشعراء للمساهمة في صنع التاريخ الأدبي ، وقد أسهم في تحريرها عدد من الأدباء المرموقين أمثال الأستاذ : أحمد الراشد المبارك ... وعبدالعزيز محمد القاضي ... وإسماعيل الناظر ... وفهد الضاعن ... وعبدالعزيز أبوسنيد ... وعبدالرزاق الريس ... وهي أول جريدة منتظمة تصدر بهذه المنطقة .

وقد أعيد إصدارها بتاريخ ١٣٨١/١/١هـ ، وتولى رئاسة تحريرها الأستاذ عبدالعزيز الحمد العيسى ... واستمرت في الصدور إلى نهاية عام ١٣٨٣هـ ... حتى تحولت ملكية الصحف إلى مؤسسات صحفية فتوقفت عن الصدور .

ثالثاً : الفجر الجديد :

جريدة أسبوعية جامعة ، يشرف على تحريرها نخبة من المثقفين ... تصدر مؤقتاً نصف شهرية وصاحب امتيازها أحمد الشيخ يعقوب ... ورئيس تحريرها يوسف الشيخ يعقوب تصدر بالدمام وتطبع بالمطبعة السعودية ... وقيمة الاشتراك ٢٥ ريالاً سعودياً في الداخل و ٤٠ ريالاً سعودياً في الخارج ... صدرت منها ثلاثة أعداد ثم توقفت نهائياً ... وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ ١٣٧٤/٧/١١هـ وقد جاء

في افتتاحية عددها الأول بقلم رئيس تحريرها :

« لما عزمنا على إنشاء صحيفة ، تخدم الوعي وتجاري قافلة الإصلاح في هذا العهد ، وجدنا تشجيعاً عارماً من أصدقائنا ... ثم رحلنا نقدم ونؤخر خطانا عندما سمعنا كلمات بعض الذين يثبطون العزائم والهمم ... بزعم أن إصدار جريدة من هذا النوع في المنطقة الشرقية لا يكون أبداً ... ولكن دافع الواجب والضمير والحماس الشديد الذي نشعر به والإيمان الذي تحويه خفايا صدورنا بأهمية هذا المشروع دفعتنا بأيديها الفولاذية لطرق أبواب الأمل تبتسم لنا وإذا ما كنا نبغيه يتحقق » .

رابعاً : الإشعاع :

مجلة شعرية أدبية تصدر بالخبر ، وصاحبها ورئيس تحريرها سعد عبدالرحمن البواردي ... وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ ١٣٧٥/١/١هـ وتطبع بالمطبعة السعودية بالدمام وقيمة الاشتراك ٢٤ ريالاً ... وقد جاء في افتتاحية العدد الأول بقلم رئيس التحرير : « إن مجلتك الإشعاع لم تكن في يوم من الأيام بوقا ولا مزماراً تدوي منه صرخات عقيمة تعنف شرعة وتمدح شرعة أخرى ... وتتخذ من لغة السباق أسلوباً ، تلج منه إلى قلب القارىء الساذج الذي ينقاد بسهولة مع تيار الدعاية المأجورة .

إن هذه المجلة قبل كل شيء قامت بغرض واحد ذلك الغرض هو خدمة الثقافة العامة والأدب ، وخدمة المجتمع ، وقضايا الناس بأسلوب حكيم معتدل لا تطرف فيه ولا شذوذ ـ أهـ » .

وقد استمر صدورها إلى نهاية عام ١٣٧٦هـ .

خامساً : هجر :

صدر العدد اليتيم منها بتاريخ ١٣٧٦/١/١هـ ، مطبوعاً على مطابع المصري ببيروت في ٦٠ صفحة من الورق الصقيل بإشراف الأستاذ عبدالله بن محمد بن خميس ... وسكرتير التحرير : عبدالله أحمد الشباط ، ويسهم في تحريرها أساتذة المعهد العلمي وبعض الطلاب وهم الزملاء : محمد بن عبدالله بن عبداللطيف

المبارك ... وإبراهيم بن الشيخ محمد المبارك ... وعبدالرحمن محمد البنيان ... وقد جاء في افتتاحية العدد : « إن اختيار اسم هجر لم يكن إلا تخليداً لهذا التاريخ المجيد ، الذي تناقلته الأخبار ، وتداولته الأشعار على مر العصور فتعطي طابعاً مشرقاً عن الماضي الأصيل والحاضر الزاهر ، والمستقبل المشرق إن شاء الله » .

سادساً : الخليج العربي :

هي أول مجلة منتظمة تصدر بالأحساء ... صاحبها ورئيس تحريرها عبدالله أحمد الشباط ، وسكرتير التحرير الأستاذ إبراهيم بن عبدالمحسن العبدالقادر ... وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ ١٣٧٦/٣/١هـ وتطبع في المطبعة السعودية على ٤٠ صفحة غير الغلاف بحجم ٢٥ × ٣٠ سم وقيمة الاشتراك ٢٤ ريالاً في الداخل ... قد صدر منها ٦ أعداد فقط ثم توقفت لأسباب مادية ... وقد جاء في افتتاحية العدد الأول : « إن الغاية من إصدار هذه المجلة خدمة الفرد والمجتمع في ضوء عناصر ثلاثة هي : تشجيع النشء وإحياء الحركة الأدبية وخدمة المجتمع في ظل المثل العليا بعيداً عن التكلف والمهاترة ـ أهـ » .

لقد حاولت خلال فترة التوقف ، أن أشغل نفسي بأي عمل لعلي أسلو صبابة الصحافة دون جدوى ، ولكن ما العمل « فالعين بصيرة واليد قصيرة » .

وفي أحد أيام عام١٣٧٧هـ التقيت بالأستاذ محمد أحمد فقي ، وجرى الحديث حول الصحافة والخليج العربي بالذات فشكوت له عدم تمكني من مواصلة العمل فيها لعدم توفر المادة أولاً ، والطباعة ثانياً فشجعني وأبدى استعداده بالمساهمة معي مادياً ومعنوياً لمعاودة إصدارها بشكل يرضي القراء والكتاب ... فصدر العدد الأول بتاريخ ١٣٧٨/١/١هـ وصاحب الامتياز والمدير المذكور عبدالله أحمد الشباط ، ورئيس التحرير أحمد فقي ويشرف على التحرير عبدالرحمن عبدالكريم العبيد .

وتطبع في المطابع الوطنية بالرياض وتصدر في ١٦ صفحة بحجم ٤٠ × ٢٥ سم وقيمة الاشتراك ٢٤ ريالاً للأفراد و ١٠٠ ريال للشركات والمؤسسات والدوائر الحكومية ـ وفي بداية عام ١٣٧٩هـ بدأنا نطبعها في مطابع

الأصفهاني بجدة فصدرت بالألوان على ورق صقيل ، عناوين جذابة ويشرف على طبعها الأستاذ عبدالعزيز فرشوطي ... واستمر طبعها بجدة إلى نهاية عام ١٣٧٩هـ . وفي بداية عام ١٣٨٠هـ أصبحت تطبع على مطابعنا الخاصة (مطابع دار الخليج العربي) واستمرت تطبع بها إلى نهاية عام ١٣٨٢هـ حيث توقفت عن الصدور ... وكان ممن شاركوا في تحريرها ووقفوا بجانبها لتستطيع الصمود أمام التحديات نخبة فذة من أبناء المنطقة ، أذكر منهم الأستاذ أحمد الراشد المبارك والأستاذ سيد علي الطومي والأستاذ محمد سعيد الخنيزي ، والأستاذ عباس مهدي خزام ، والأستاذ عبدالعزيز محمد القاضي والأستاذ إبراهيم الناصر .

وهناك إخوان شاركوا مشاركة فعالة في تحريرها ، أذكر منهم : الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة والأستاذ سيف الدين عاشور وأحمد طاشقندي وأحمد محمد الصايغ وسميحة أحمد وسعاد حسن ومحمد كامل خجا ومروان الطاهر وعبدالرزاق الريس وإسماعيل الناظر ... ومن العراق جعفر الخليلي صاحب جريدة الهدف ... ومحمد ميرزا آل ياسين صاحب مجلة الرسالة ... ومن لبنان جورج سكاف ، وفيليب راسي وعبدالحميد السراج ... ومن السودان عثمان شوقي ... ومن مصر رضوان إبراهيم ... ومن الأردن عيسى الناعوري ومروان الطاهر ... ومن البحرين الشاعر إبراهيم العريض ، ومحمد أحمد آل خليفة ومحمد المردي .

سابعاً : قافلة الزيت الأسبوعية :

جريدة أسبوعية تطبع في مطابع الشرق بالخبر ، وتصدر في ١٦ صفحة بحجم ٤٠ × ٢٥ سم وتهتم بأخبار شركة الزيت ، وموظفيها وتوزع عليهم مجاناً ... صدر العدد الأول منها بتاريخ ١٣٧٩/٤/١هـ ومديرها الأستاذ سيف الدين عاشور ، ورئيس تحريرها الأستاذ شكيب الأموي ، ثم منصور مدني بتاريخ ١٣٨٢/٩/١٧هـ وفي ١٣٨٧/١٠/٢٤هـ أصبح الأستاذ عبدالله يوسف الحسيني رئيساً للتحرير ، يعاونه الأستاذ إبراهيم الشنطي ثم أسندت إدارتها العامة إلى الأستاذ مصطفى حسن خان وأصبح الأستاذ علي حسن قناديلي رئيساً للتحرير ... وقد استمرت في الصدور على هذا المنوال حتى استقال الأخ قناديلي وأصبح مديرها المسؤول فيصل البسام ، ولا تزال حتى الآن .

ثامناً : مارد الدهناء :

نشرة دورية ، أصدرتها المؤسسة العامة للسكك الحديدية بالدمام ، بإشراف قسم الاستعلامات والنشر والتعليم ... صدر العدد الأول منها في ١٣٨٠/٩/١هـ ، واستمرت على شكل دورية تتغير كيفا وكما حسب الظروف ، حتى وافت العدد ٤٨ الذي صدر بتاريخ ١٣٨٢/٩/٢٥هـ ، على شكل مجلة شهرية منتظمة تطبع على مطابع المطوع ، على ورق صقيل وطباعة ملونة في ٢٢ صفحة حجم ٢٥ × ١٥ سم ... ويشرف على تحريرها الأستاذ : سعود المشد العقيلي ... وقد أسهم في تحريرها معالي الأديب والوزير الأستاذ : محمد عمر توفيق وزير المواصلات آنذاك ومعالي مدير السكة الحديد الأستاذ : عبدالعزيز القريشي ... وقد جاء في افتتاحية العدد المشار إليه .

« إن هذه المجلة تعد امتداداً لتلك النشرة ، وتزيد عليها موضوعات تجمع بين الطرافة والمتعة وستكمل رسالة النشرة وتتم عملها ، وتؤدي واجبها وتكرس إمكانياتها لخدمة مؤسستها الفنية » .

تاسعاً : مجلة الاقتصاد :

صدرت عن الغرفة التجارية والصناعية بالدمام ... يشرف عليها مجلس إدارة الغرفة ، ويرأس تحريرها المرحوم عبدالله ناصر الدحيلان مدير الغرفة ... صدر العدد الأول منها بتاريخ ١٣٨٨/٢/١هـ وتطبع في مطابع المطوع ... وقيمة الاشتراك ٢٠ ريالاً ... وبعد وفاة الدحيلان أصبح يشرف عليها مجلس إدارة الغرفة ، وتصدر في ٥٢ صفحة وتطبع على مطابع المطوع ... قيمة الاشتراك ١٠٠ ريال .

تلك هي صحافة الأمس القريب تقصينا حقائقها وسبلها وسبرنا أغوارها ، فسجلنا تاريخها من دون خوف من الماضي ودون مبالاة بالحاضر ... وإنما أمل ضاحك في مستقبل مشرق ، نعم تلك هي صحافة الأمس . صحافة الأفراد الذين كانوا يغامرون بإصدار الصحف في تلك الأيام ، دون أن يملكوا من وسائل الصحافة المتطورة سوى ضمائر حية ، وأقلام نظيفة وليس لهم من رصيد سوى محبة القارىء ، وثقته وتعاطفه معهم ومساندة الكتاب من الشعراء والأدباء الذين كانوا لا يسهمون

بنتاج قرائحهم فحسب بل نرى أكثرهم يقفون للمساهمة في التحرير والتصحيح والتوجيه ، دون أن يتقاضى أي منهم أو يفكر أن يتقاضى أي مبلغ من أي مجلة أو جريدة لقاء عمله بها كصحفي في تلك الأيام ... رغم كل المعاناة التي عاشوها ... ورغم كل العقبات التي تعترض مسيرتهم ... ورغم كل المغريات التي تدعوهم لإخلاء الطريق . رغم كل هذا كافحوا وحاولوا الصمود ، مضحين في سبيل ذلك براحتهم وأموالهم وصحتهم فلم يتخذوا منها مهنة يرجون من ورائها المزيد من الجاه ... أو كسب المال بل كانت لهم أهداف نبيلة تقودها عقول نيرة وضمائر حية ... وكانت لهم غايات محددة واضحة تحدثوا عنها بكل صراحة ووضوح أمام الجميع دون خوف أو وجل في أكثر من مناسبة ... وكانوا يرفضون بإباء وشمم أن تكون صحفهم مأجورة وأقلامهم مسخرة لخدمة أي هدف لا يتمشى مع أهدافهم النبيلة ، وغاياتهم الكريمة المكنونة في نفوس سامية وهمم عالية لا ترجو سوى خدمة الصالح العام للوطن ... والمواطن .

بعض وجوه الصحافة :

واستميحكم عذراً أولا لأنني لن أستطيع التحدث عن كل وجوه الصحافة ، في هذه العجالة لأن ذلك الحديث الشيق يتطلب سجلاً خالداً ، يلم بكل صغيرة وكبيرة من حياة هؤلاء ... واستميحكم العذر ثانياً أنني لم أتكلم عن الأدباء والشعراء من أبناء هذه المنطقة وإنما خصصت بحديثي من عملوا في ميادين الصحافة ، وأستميحكم العذر للمرة الثالثة لأن حديثي لم يكن في كل الحالات دقيقاً بحيث يعطي صورة كاملة عن موضوع الحديث .

إن صدور الصحف في هذه المنطقة أوجد جيلاً من الكتاب المتمرسين في الكتابة الصحفية وهم كثيرون ... وسوف تتساءلون معي أين هـم ؟

أين إنتاجهم ؟ فالقارىء دائماً يسأل عن الكاتب خاصة الصحفي الذي تعود عليه باستمرارية شبه دائمة دون أن يدري سبب انقطاعه فهو لا يعرف أن اصبعه المقطوعة تمنعه من الإمساك بالقلم ... ولا يدري كذلك أن عين الصحفي المريضة تحجب عنه الرؤية أحياناً وأحياناً أخرى لا يعلم إن كان مشغولاً بعد النقود المنتفخ بها جيبه أو أنه مشغول بالبحث عن قوت عياله ، ومع ذلك لا نزال نسأل ونلح في السؤال : أين الأقلام ... وحملة الأقلام ؟ .

ولي ولكم الحق في هذا التساؤل ، فلقد كانت الصحف والمجلات التي صدرت ، ثم احتجبت ميداناً فسيحاً لكثير من الكتاب ، والشعراء الذين اتحفوا القراء بالرائع النفيس من القصائد والمقالات الصحفية في كل فن من فنـون الأدب ... وبكل لون من ألوان التعبير الصحفي الهادف ... حيث كانت الصحافة مسرحهم ومتنفسهم يعبر خلالها إلى القراء فيضيء الطريق أمام غيرهم ... فكانت كتاباتهم صدى طيباً في نفوس قرائهم ، ثم فجأة كفت تلك البلابل عن التغريد ، وكأن اختفاء تلك الصحف شدهم معه إلى الركون ، إلى الدعة والارتياح بعيداً عن وجع الرأس في مهنة المتاعب ... وتعالوا نستعرض بعض تلك الوجوه ، ونتساءل أين هي الآن من مسرح الصحافة والأدب ؟ والجواب الطبيعي أن ﴿ **منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ... ﴾ صدق الله العظيم ... والذي قضى نحبه ذهب بما له وما

عليه ، ليس له منا إلا طيب الذكرى وحسن الدعاء وأما من ينتظر فله منا السؤال تلو السؤال ، أين دورك الآن وقد جد العمل ؟ ولعل بعضكم قد نسي بعضهم ، أو أن بعضهم قد نسي نفسه فنعود لتذكيرهم بدورهم الكبير وإليكم القائمة :

١ ـ خالد محمد الفرج :

ولد بالكويت عام ١٣١٦هـ ، وتلقى تعليمه الابتدائي بها ثم أخذ يطوف بأرجاء الخليج العربي ، يجمع المعلومات ويتعلم ويلتقى بالعلماء والشعراء ثم انتقل إلى بمباي واشتغل بالتدريس فترة ثم عاد إلى البحرين وأقام بها فترة من الزمن ثم عاد إلى أرض الوطن ... شغل منصب رئاسة بلدية الأحساء لمدة قصيرة جداً إلى عام ١٣٦٨هـ ثم تم تعيينه رئيساً لبلدية القطيف ، وقد استمر بها إلى عام ١٣٧٢هـ ، ثم استقال وأسس المطبعة السعودية بالدمام ويعد من رواد الحركة الأدبية بمنطقة الخليج العربي ، وتوفي عام ١٣٧٣هـ مخلفاً العديد من المؤلفات من بينها (كتاب علاج الأمية وتيسير الكتابة العربية ، وملحمة شعرية بعنوان أحسن القصص ، والخبر العيان في تاريخ البحرين وقطر وعمان ، ورجال الخليج وديوان الشعر) .

٢ ـ أحمد الراشد المبارك :

ولد بالأحساء في أسرة المبارك ، التي احتلت ميدان الصدارة علماً وأدباً وشعراً على مدى ثلاثة قرون من الزمن ، وفي هذا الجو العلمي نشأ وترعرع وتعلم وأخذ ينشر إنتاجه في صحف البحرين ومصر ولبنان والصحف المحلية ... وهو ناقد وأديب له في ميدان الشعر باع طويل . اتخذ من جريدة البحرين نافذة يطل منها على القراء بشكل متواصل ، ثم لما احتجبت نقل قلمه إلى مجلة صوت البحرين ومجلتي الرسالة والرابطة في مصر ومجلة الأماني بلبنان ... وله مؤلفات مخطوطة منها : (المذاهب الفكرية في الإسلام ، وديوان الصدى الضائع) .

٣ ـ عبدالكريم الجهيمان :

ولد في بلدة القراين من قرى الوشم ودرس في مكة المكرمة ، وتخرج من المعهد العلمي السعودي ... وتمتاز كتابته بالتخصص في المواضيع الأثرية كالأمثال

الشعبية والأساطير الشعبية ... نزح إلى المنطقة الشرقية ليعمل في التدريس ، ثم مديراً لشركة الخط والطبع والترجمة والنشر التي تأسست عام ١٣٧٤هـ ، ورئيساً لتحرير جريدتها ... « أخبار الظهران » وقد أسهم مساهمة فعالة في إنعاش الحركة الصحفية بوجه خاص ، والحركة الأدبية بوجه عام ... وقد عمل مستشاراً بوزارة المعارف ثم أحيل إلى التقاعد ... له من المؤلفات : (من أساطيرنا الشعبية في قلب الجزيرة العربية والأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية ، وثلاثة كتب في فن المقالة هي : دخان ولهب ، آراء فرد من الشعب ، أين الطريق) .

٤ ـ سيف الدين عاشور :

من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٣٨هـ تلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة الفلاح ثم بمدرسة تحضير البعثات ... وبعد تخرجه التحق بشركة الزيت العربية بالظهران فحصل على بعثة إلى الولايات المتحدة لاستكمال دراسته بالأدب الإنجليزي ... وبعد عودته التحق بالعمل في المديرية العامة للإذاعة ، والصحافة ، والنشر بجدة ... وبعد فترة استقال ليلتحق بالعمل رئيساً لقسم الصحافة والنشر بشركة الزيت ورئيساً لتحرير مجلة قافلة الزيت الشهرية ... إلا أن العمل الحر اجتذبه لفتح مؤسسة للترجمة والعلاقات العامة بجدة ... وقد أسهم في إثراء الصحافة المحلية أثناء وجوده بالمنطقة بالكثير من الخبرة الصحفية ، والمقالات والقصص المترجمة ... وله رواية بعنوان : (لا تقل وداعاً) .

٥ ـ عبدالرحمن عبدالكريم العبيد :

من مواليد مدينة الجبيل عام ١٣٥١هـ وبها درس الابتدائية والمتوسطة ، ثم التحق بالعمل بميناء الجبيل ثم مأموراً لميناء الدمام التابع للمؤسسة العامة للموانىء وانتهى به المطاف لمزاولة العمل التجاري ثم رئاسة نادي المنطقة الشرقية الأدبي أسهم مساهمة فعالة في إحياء الحركة الأدبية ، فكتب بصورة شبه مستمرة في صحف المنطقة شعراً ونثراً وتاريخاً ونقداً ... وله من المؤلفات المطبوعة : (الأدب في الخليج العربي ، وقبيلة العوازم ، والموسوعة الجغرافية لشرقي الجزيرة العربية ، وديوانا

« في موكب الفجر » ، و « يا أمة الحق » ، و « الجبيل ماضيها وحاضرها » ، وكتاب « أصول المنهج الإسلامي » .

٦ ـ سعد البواردي :

من مواليد مدينة شقراء سنة ١٣٤٩هـ وقد أكمل دراسته بها إلى نهاية القسم الثانوي ، ثم نزح إلى المنطقة الشرقية ، للعمل بالتجارة ... وفي عام ١٣٧٦هـ ، أصدر مجلته (الإشعاع) وبعد احتجابها التحق بوزارة المعارف ، وكان آخر منصب وصل إليه هو الملحق الثقافي بلبنان ... وقد كان أثناء وجوده بالمنطقة الشرقية وجهاً مشرقاً من وجوه الصحافة الأدبية ... صدر له عدد من الكتب المتنوعة الأغراض والألوان شعراً ومقالة وقصة .

٧ ـ يوسف الشيخ يعقوب :

ولد بمدينة الجبيل تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط بها ... زاول الكتابة في الصحف المحلية والعربية ، حتى غدا أحد الكتاب المرموقين ... وكان في كتاباته يركز على النواحي العملية ، ثم ساهم مع أخيه في إصدار جريدة (الفجر الجديد) التي احتجبت بعد ثلاثة أعداد ، وقد أسهم مساهمة فعالة في إنعاش الحركة الفكرية والصحفية .

٨ ـ عبدالسلام محمد العمري :

ولد بالمدينة المنورة ، وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي ... ثم جاء إلى المنطقة الشرقية ليعمل بقسم العلاقات العامة بالسكة الحديد ثم رئيساً لتحرير مجلة مارد الدهناء ... وكان خلال وجوده يغذي الصحف والمجلات بمقالاته الدسمة وقصائده العذبة ... وقد استقال ليعمل بشركة الزيت العربية اليابانية رئيساً بقسم العلاقات العامة ورئيساً لتحرير مجلة (الخفجي) ولا يزال .

٩ ـ عبدالعزيز محمد القاضي :

أديب وناقد كبير كان في الخليج العربي يمد الصحف ويساندها بمقالاته النقدية

بشكل منظم ... ولد بمدينة عنيزة سنة ١٣٤٤هـ وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي ... ثم استقر به المقام في الدمام ؛ ليعمل بالتجارة وله ملحمة شعرية مطبوعة بعنوان ـ العنيزية ـ .

١٠ ـ محمد أحمد فقي :

من مواليد مدينة جدة ... تلقى بها تعليمه الابتدائي ، ثم التحق بالأمن العام ، وتقلب في عدة وظائف عسكرية كان آخرها رئاسة المرور بالمنطقة الشرقية ... أسهم في الحركة الأدبية مساهمة فعلية مادياً ومعنوياً ... وكان له الفضل في معاودة إصدار جريدة الخليج العربي ... أسس مطابع الشرق بمدينة الخبر ، وتفرغ للأعمال الحرة ...

وله عدة مؤلفات منها (نوادر ومختارات ... وديوان اللفحات وكتاب عن الجريمة وأساليب مكافحتها) .

١١ ـ عباس مهدي خزام :

أديب وشاعر له مساهمات صحفية في أكثر الصحف المحلية وله مؤلفات مطبوعة منها (كيف ننظم الشعرْ) ونماذج من التاريخ الجاهلي ... وقد نزح إلى البحرين .

١٢ ـ سعود العيسى :

بدأ حياته الأدبية بالكتابة في بعض الصحف ... ثم التحق محرراً بجريدة أخبار الظهران ، ثم سكرتيراً لتحريرها ... له قلم رصين تتسم كتابته السياسية بالعمق والتحليل ... ذو جرأة نادرة ظهرت في كتابته ، وبعد أن احتجبت أخبار الظهران أدار ظهره للصحافة ، وانصرف إلى الأعمال الحرة .

١٣ ـ عبدالعزيز أبو سنيد :

من مواليد سوق الشيوخ بالعراق حيث تلقى بها تعليمه الابتدائي والثانوي ثم قدم إلى المملكة والتحق بشركة الزيت قسم التعليم ... وفي أثناء ذلك كان يغذي

الصحف المحلية بمقالاته التي انصبت حول حقوق العمال ، حتى انتخب عضواً في اللجنة العمالية بالظهران ... ثم مستشاراً لوزارة العمل ... وقد استقال عام ١٣٨٥هـ ليعمل بالتجارة .

١٤ ـ عبدالعزيز مؤمنة :

ولد بجدة وتلقى بها تعليمه الابتدائي والثانوي ... ثم التحق بالعمل لدى شركة الزيت العربية الأمريكية ... وقد ابتعث للدراسة بالولايات المتحدة ، وبعد عودته عين بإدارة العلاقات العامة سكرتيرا لمجلس قافلة الزيت في شهر ذي الحجة ١٣٧٥هـ إلى ١٣٧٩هـ حيث أسندت إليه مهمة الإشراف الكامل على العلاقات العامة ... وقد استقال فى عام ١٣٨١هـ ، وانتقل إلى جدة حيث أصدر جريدة (أسبوع التجاري) (وهي جريدة أسبوعية ، تهتم بالنواحي الثقافية والاقتصادية ... وقد توقفت بعد تحويل ملكية الصحف إلى المؤسسات) .

وقد واصل رسالته الصحفية بإصدار نشرة أسبوعية عنوانها (رسالة البترول) والأستاذ مؤمنة كاتب قدير ، ومحلل عميق يتميز أسلوبه بالدقة والشمولية والوضوح ... وقد أسهم مساهمة كبيرة في الحركة الأدبية في المنطقة . فكتب في أكثر الصحف ... وكان (للخليج العربي) نصيب الأسد من كتاباته وتعليقاته السياسية .

١٥ ـ عبدالله أحمد الشباط :

ولدت في الأحساء عام ١٣٥٨هـ إلا أن الحفيظة تصر على أنني ولدت عام ١٣٥٤هـ أكملت تعليمي الابتدائي بمشقة حيث كنت اضطر للانتقال من المبرز إلى الهفوف وبالعكس ، ففضلت الانسحاب والعمل بمهنة التدريس ... فعملت مدرساً بأول مدرسة بالدمام عامي ٧٠ ـ ٧١هـ ... ثم استقلت وعملت سكرتيراً للمجلس البلدي بالدمام ، إلا أن الحنين للدراسة جذبني مرة أخرى للالتحاق بالمعهد العلمي الذي قضيت فيه أربع سنوات ثم أصدرت مجلة الخليج العربي والتي تحولت إلى جريدة الخليج العربي في عام ١٣٨١هـ ... حيث عينت مساعداً لرئيس بلدية الخبر ،

ثم رئيساً لبلدية المحايدة حتى نهاية عام ١٣٨٨هـ والباقي على ما اعتقد معروف .

كتبت في الصحف المحلية والعربية ... فمن المحلية : الإشعاع ـ أخبار الظهران ـ قريش ـ الندوة ـ المدينة ـ الرياض ـ اليوم ـ الشرق .

ومن صحف الكويت : البلاغ ـ البيان .

ومن صحف البحرين : البحرين .

وأعتقد أن في ذلك كفاية .

غيوم في الصيف

غيـــوم ... في الصيــف

وكعادة الأخ الصديق الشاعر أحمد حمد آل خليفة ، أخذ يتحفني بكل جديد لديه . وقد درج على هذه العادة ـ جزاه الله خيراً ـ منذ ثلاثين عاماً ... فقد بعث إلي نسخة من ديوانه الأخير « غيوم في الصيف » وكتاباً آخر بعنوان « شقائق النعمان محمد بن سموط الجمان في أسماء شعراء عمان » لمؤلفه فضيلة الشيخ الفقيه الأديب محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي في ثلاثة مجلدات ... وهذا الكتاب قامت بطبعه وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ... وسأبدأ حديثي في هذه العجالة عن ديوان غيوم في الصيف أما الكتاب الثاني فله حديث آخر .

وغيوم في الصيف يعد الديوان الخامس أو المجموعة الشعرية الخامسة بعد أن أصدر الشاعر « العناقيد الأربعة » عام ١٩٨٠م ... وقد سبق أن تحدثت عنها في حينها ... أما هذا الديوان فهو يشمل الأشعار التي قيلت بعد ذلك خلال الفترة من عام ١٩٨٠م ـ ١٩٨٨م حيث يبدؤها بقوله :

يا غيـوم الصيـف هل من قطرة   تروي الظمآن في وقت الهجير
أنا أحدو في الفلا قافلتي   وعراها الأين من طول المسير
فمتى توصل للأرض التي   في رباها العشب يرنو للغدير

ومع إيماني بأن العشب يرنو للغدير ، في كل مكان خاصة في الصيف ، فإنني أتجاوز هذه النقطة لأصحب الشاعر في رحلة قام بها إلى لندن للعلاج ، فيضيق صدره ويكاد ينفجر من الحنين إلى موطنه ... فينطلق شعره معبراً عن شعوره :

ما للغريب سوى الذكرى تهيجه   وفي الكرى يعتريه الهم والتعب
ما لندن لي بدار بعدما بعدت   عني المآذن في البحرين والقبب

ونتساءل ما هي علاقة الشاعر بالبحرين ؟ فيجيب :

في الغرب والشرق والبحرين ماثلة — في مقلتي ومالي دونها أرب
أشم طيب رباها وهي نازحة — عني فأبكي من الذكرى وأنتحب

لكن السؤال الذي لن يستطيع الإجابة عليه هو ، كيف يشم طيب رباها وهي نازحة عنه ؟ هل هو الخيال ينقله إلى مسقط رأسه ؟ ربما .

يجيب الشاعر في قصيدة قالها في لندن ، وأهداها لأخيه العميد إبراهيم بن محمد آل خليفة :

يهيم إلى مرأى الأحبة خاطري — ويشتاق للأوطان شوق الحمائم
ومن في فراش السقم طال سقام — فليس وإن جن الظلام بنائم
فتدنو به الأشواق ليلاً من الحمى — وتنقله الذكرى لتلك المعالم

ويتساءل في لوعة :

ما للغريب إذا غابت أحبته — والهم يطويه في ليل من الشجن ؟

ويأخذنا الشاعر في رحلة من نوع آخر إنه يطوف بنا دول مجلس التعاون الخليجي ، يتحدث إلى ملوكها وأمرائها فيرفع التهنئة إلى سمو الشيخ عيسى بن سلمان ، بمناسبة العيد الوطني الثالث والعشرين فيقول :

إذا دوحة من تغلب طال فرعها — رأيت لها كف الزمان يشير
ومن مثل عيسى في المروءات والندى — له الشمس تاج والسماك سرير
تضيء به البحرين حتى تخالها — من العز فوق النيرات تسير

ومن قصيدة قالها بمناسبة تدشين مركز الفاتح الإسلامي فيقول عن آل خليفة :

المروءات تنادي أهلها — ورجال المجد في الدنيا قليل
هم لعمري كشموع في الدجى — وبهم يسفر للساري السبيل
العتوب الصيد فرسان الوغى — قارعوا النجم فذل المستحيل

ومن البحرين يأخذك إلى المملكة العربية السعودية ، للقاء خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ويقول بمناسبة تدشين جسر الملك فهد :

من مثل أبطال الجزيرة إنهم   بجهادهم نالوا العلا بتفوق
عبدالعزيز ومن بنى كبنائه   بالسيف شاد فخاره والمنطق
فرد تجشم كل بيداء بها   يعوي الهلاك وكل ليل مطبق
هي قصة مثل الأساطير التي   ما كل من تروى له بمصدق

ويرفع الشكر إلى مقام خادم الحرمين الشريفين :

ياعاهل العرب إنا شاكرون لكم   شكراً يخامرنا في الروح والجسد
ما نحن عنكم بمنأى فالقلوب بها   جسر قديم بناه الحب من أحد

وبمناسبة ارتقاء خادم الحرمين سدة الحكم ، يرفع له قصيدة يقول فيها :

أيا فهد إن العرب في نار محنة   لقسوتها تحني ظهور المصائب
أرى الليث أمسى لا يداوي مطية   وذلت ثعابين الفلا للعقارب
فما أحوج الدنيا إلى صوت منقذ   كفهد ليلقى اليوم كل مجاوب

ومن قصيدة أخرى يقول :

حميت البيت والقبر المفدى   وربك قد حماه حماك
وقدت المسلمين إلى التآخي   ويا للمسلمين فتى سواكا
إذا ما راية الإسلام لاحت   تلقتها بلا صبر يداكا

وفي مقام آخر نراه يحيي الأمير الشاعر عبدالله الفيصل :

يا أمير العيان والسيف هذي   نفثة قالها فؤادي الولوع
سقتها من محبتي في البلاقي   فهي رمز عما تكن الضلوع
خانني الشعر في رحابك حتى   لن أعد منشداً لما أستطيع
بعد عصر الصبا جفتني القوافي   وانطلقت لقريض تلك الشموع
وإذا شاعر غدا اليوم كهلاً   قالت الناس : تاب ذاك الخليع

ثم ينتقل بنا إلى الكويت ، حيث يحييها في عيدها الوطني بقصيدة منها :

وما نحن في البحرين إلا أحبة — وأهل نمانا للمروءات وائل
قلوب بها تجري المودة بيننا — رعتها على الحب الجدود الأوائل
ونحن كجسم إن شكا من أذية — تداعت له أطرافه والمفاصل

وقال بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي بالكويت مخاطباً الشيخ جابر الأحمد الصباح :

جاؤوا إليك رؤوس المسلمين وقد — رأوا علاك فزادوا منك إيمانا
يا جابر المجد إنا أمة طلعت — بمجلس صدقت فيه نوايانا
إن التعاون يمليه الوفاء وقد — صرتم كما شاءت العليا أعوانا

وقال مهنئاً سموه بعد نجاته من حادث الاعتداء :

سلمت وحاقت بالطغاة المكائد — فما فاز في الدنيا من الخلق حاقد
رعتك من الله المجير عناية — تجيرك مهما جاء بالغدر حاسد
إذا بالكويت الحر روع أهله — سهرنا له والهم في الشعب واحد
فليس الخليج اليوم شعباً مشتتاً — تفرقه للطامعين المكائد

ومن الكويت يأخذك إلى عمان ، محيياً السلطان قابوس بمناسبة زيارته للبحرين :

للمجد قوم وللعلياء أقيال — وللبطولة والهيجاء أبطال
والعرب أمة مجد فهي خالدة — ما روعتها من الغارات أهوال
ومجد قحطان نبراس الجهاد بها — تحدثت عنه في التاريخ أجيال
إن الخليج غداً شعباً ووحدته — حقيقة وبهذا يسعد الحال

وعندما عقد مؤتمر القمة الخليجي بمسقط عام ١٩٨٦م ، فيتحدث عن رؤساء مجلس التعاون ، ويعددهم بأسمائهم ثم يقول داعياً إلى مزيد من التماسك والتعاون :

إخوان صدق في الخطوب تراهم   صفاً تهاب لقاءه الأعداء
من لم يساند في الشدائد جاره   ويعينه لعبت به الأهواء
والدهر ينذر بالخطوب ومن ينم   ما هزه للساهرين نداء

ثم يخاطبهم بقوله :

كونوا سياجاً للخليج وشعبه   إن القوي يهابه الضعفاء
لا تحفلوا بالغرب أو زعمائه   فهموا دواما واليهود سواء
كم خادعونا بالسلام وزيفوا   أقوالهم فإذا السلام هباء

ومن ساحة الملوك والأمراء ، يأخذنا الشاعر إلى لقاء الشعراء والأدباء إذ له مع العديد منهم وقفات ومطارحات ... فنراه يرسل شيئاً من ذكرياته إلى الشاعر الأمير صقر بن سلطان القاسمي فيقول :

تجنحنا روح القريض إلى الهوى   فلا زال بي شوق إلى ذلك العصر
زماناً مشيناً والصبا في إهابنا   وللغيد همس حولنا أينما نسري
أبا صقر يا فخر الصحاب فإنني   أردد منك الذكر في السر والجهر

ويخاطب الدكتور غازي القصيبي ، بمناسبة تعيينه سفيراً لخادم الحرمين الشريفين بدولة البحرين :

أهلاً بمبتكر القريض ملاحماً   توحي العزيمة في الفؤاد الحائر
الشعر لحن في الحياة وصرخة   تردي برهبتها جنان الجائر
ومنابر الشعر الصحيح موارد   تسقي الظماء من السعير الفائر

أما الشاعر إبراهيم العريض ، فإن شاعرنا يشارك في تكريمه بقصيدة يقول فيها :

رفعته كواكب الشعر حتى   جر في جبهة السها أذياله
لو دعي له لواء رفيع   لو سعى البدر نحوه ما طاله

ويقول مودعاً الشاعر محمد الفايز من الكويت :

سنعيش بالذكرى إذا فارقتنا والذكريات جميعهن سراب
لا تنفع الذكرى لقلب متيم إن قد نأت من قربه الأحباب

ويقول رداً على قصيدة جاءته من الشاعر الفايز :

إن الحياة من الفنون جميلة ينسى الجليس بها أذى أيامه
وجه طلابك والقريض مراده بعد انقطاع الوصل من (خيامه)
والشعر قد أمسى يتيماً في الورى يشكو العقوق ونحن من أيتامه
كم ذا يعاني الشعر في الزمن الذي كثر الركوع على فتات حطامه
والشعر رأس الكبرياء فما انحنى إلا لمن يبني العلا بحسامه

أما الأديب الكويتي عبدالرزاق البصير فإنه يشبهه بالمعري :

تذكرت المعري حين كانت بلاغته تشير لها الدهور
لقد تمنت له الدنيا ولكن أعاد زمانه فينا البصير
أديب في الخليج له مقام على العيون تعرفه البدور

ويخاطب الشاعر الجشي على البعد وهذه القصيدة هي الوحيدة الشاذة عن زمن المجموعة فقد قيلت عام ١٩٥٣م :

كم في القطيف أحباء يقربني شوقي إليهم ويحيي القلب تذكار
غابوا وليس أرى من أرضهم خبرا بعد النوى حيث لا خل ولا جار
يا شاعر الحب إن الحب يشفع لي والروح في وحشة والدهر غدار
فاعذر إذا شط ركبي عن قوافلكم. فصاحب الحب للأحباب عذار

ويبكي بحرقة على صديقه الشاعر العوضي الوكيل ... عندما بلغه نبأ وفاته :

لقد هجر اليراع يدي وكفي وأنكر عشرة الزمن الجميل
وعاقني اللسان عن القوافي وحلقي غص بالنطق القليل

ويقول مخاطباً صديقه :

لقد طارحتني بالشعر حتى كبت عن سبقنا كل الخيول
وأنت بقية بقيت بمصر لهذا الجيل من ذاك الرعيل
تعلمتم على نفثات شوقي وحافظ في المساء وفي الأصيل

ثم يودعه بقوله :

فنم في الخلد واسعد في جنان يمدك حورها بالسلسبيل
غنمت الراحة الكبرى وهذي مناط رجائنا يوم القفول

وتتجلى وطنية الشاعر وهويته العربية ، عندما يأخذك من مياه الخليج الزرقاء إلى شواطىء لبنان التي كانت غافية على أنسام الربيع ، فإذا القتل والقنص والدمار يزعجها ويحولها إلى بحار مسجرة ، ويحول بيروت إلى بقايا حريق فيقول بعد أن رحل الفلسطينيون واجتاح الصهاينة بيروت :

هذه بيروت قد دكت على أهلها ما من زعيم وثبا
فرفعنا في الثرى أمجادنا وبكينا في الرغام الحسبا
صار طعم الذل معتاداً لنا ساء طعماً مأكلا ومشرباً

ويصف بيروت المحترقة في قصيدة أخرى :

صوت الرصاص مع الأشباح ينقلني إلى الجحيم وأصوات العفاريت
حتى الطيور التي كانت تؤنسها قد هاجرت مذخلت كل الحوانيت
جاعت من المحل فاستحلى الرحيل لها لما خلا القن من فح السبابيت
الله يرجع بيروتا لعزتها لنا ويمحق كل طاغوت

وفي فلسطين يسطر أحد الشبان ملحمة من ملاحم الخلود ، فيسقط ميتاً برصاص اليهود :

شمته بالدماء يكتب سطراً عندما قطع الرصاص الوثينا
خط في الترب يا فلسطين إنا كأسود بالروح نحمي العرينا
أنا إن مت فالشهادة أبقى من حياة بذلها تحتوينا

أما فتيان فلسطين الجدد ـ أو أطفال الحجارة كما أطلق عليهم ـ أولئك الذين أقضوا مضاجع الأعداء وأرهقوهم فإن له عنهم حديثاً مليئاً بالمرارة والفخر :

وما أجدى الحجارة حين تلقى ... ويلقى الذل شيطان مريد
وليس سوى الحجارة من سلاح ... إذا بخل الكرام ولم يجودوا
فهذه ثورة الفتيان قامت ... وفي الفتيان للجلى وقود

وللغزل في هذا الديوان نصيب ليس بالكثير لكنه يرقى إلى قمة الإبداع لدى الشاعر ... فيقول في إحدى رباعياته بعنوان « من أغاني الحب » :

إن دنيا الحب في قرب المحبين جميلة ... قم ودعنا نقطف البهجة في ظل الخميلة
فالغدير العذب كالولهان يجري سلسبيله ... ويناجينا بتحقيق الأماني ـ يا حبيبي

ويصف شعراء الحب في قصيدة أخرى :

وما شعراء الحب إلا ملائك ... قلوبهم في النيرات معابد

وعندما يفاجأ بلقاء الوجه الحسن تتعثر الكلمات على لسانه :

ولما رأيت الوجه منها تسمرت ... عيوني على بدر يخر له البدر
فقلت لها والشوق يطفح في فمي ... أريد فلاناً فاستفاض بها البشر
تعثرت بالألفاظ إذ كنت أبتغي ... بمكتبها زيداً فقلت لها عمرو

وعندما يصل إلى مرحلة الكهولة ، تصبح كل تلك المواقف والأغاريد مجرد ذكريات :

أنا الآن خليت الهوى في كهولتي ... وأصبحت من الصبا شبه تائب
وأسعد أيامي مع الحب والهوى ... هي اليوم ضاعت من حساب المحاسب
إذا سرى تذكارها أو خيالها ... شرقت من الذكرى بحلو الشارب

ولقد شدا الشاعر أحمد محمد آل خليفة في كل ضرب من ضروب الشعر ... وتغنى في كل غرض من أغراضه ... ولئن كان البعض يستهجن شعر المناسبات لأنه مجرد نظم

يموت بانتهاء المناسبة ... فإن شعر الخليفة الذي قاله في المناسبات وهي مناسبات خالدة فيه من الإبداع ما يجعله خالداً ... لأن المناسبات سواء الوطنية أم الإنسانية هي التي توقظ الأحاسيس وتؤجج المشاعر وتدفع القلب إلى الخفقان وإلى التعبير ... ويقول الشاعر إبراهيم العريض في مقدمة الديوان عن الشاعر أحمد الخليفة :

(وأما أنه زينة الحفلات فماذا تقول عن شاعر رصد نفسه ، لتسجيل أحداث بلاده ينطق بلسانها الخاص ، في كل فرصة مواتية فما عليك إلا أن تتجلى الصور العابرة في مرآة شعره كشريط سينمائي لترى تعاقب هذه الأحداث ومع ذلك فهو أكثر الشباب أصالة في نفسه) .

ومع أن شاعرنا تخطى مرحلة الشباب بكثير فإن الأستاذ العريض يرى في شعره ذلك الشباب الدائم المتجدد .

شمس بلا أفق

شمس بلا أفق

قصائد هذا الديوان تمتد على مساحة زمنية ليست بالقصيرة ... لأن أول قصيدة فيه من الناحية التاريخية وهي بعنوان (حديث البدر) تحمل تاريخ ٤ شوال ١٣٦٣هـ ، يقول في مطلعها :

أيا بدر عمت بهذا الوجود وشاهدت فيه فنون الصور
وجزت الفضاء طليق الهوى وإن الهوى لجناح الفكر

أما آخر قصيدة من الناحية التاريخية فهي تحمل تاريخ ١٤٠١/١١/٢هـ وهي بعنوان (بعد الجدب) يقول فيها الشاعر محمد سعيد الخنيزي :

أرسلي لي من كوة الفجر نوراً كي يضيء الطريق في الظلماء
وافتحي لي من الخيالات آفاقاً وردي مواسم الشعراء
أنا يامي وسط جدب مريع هو جدب العقول لا الصحراء

ولعل من يتتبع قصائد هذا الديوان حسب تسلسلها التاريخي يجد فرقاً واضحاً واختلافاً شاسعاً في الأسلوب وطريقة طرح الموضوعات ... كالاختلاف بين الموضوعات نفسها ... ولست أدري ما هو الدافع الذي يجعل شاعرنا بعد إصدار ديوانيه الرائعين (النغم الجريح) و (شيء اسمه الحب) يعود لتجميع قصائد قالها أيام الصبا ؟ وأرجو ألا يكون كمن يعود إلى دفاتره القديمة ... فهو ولا شك شاعر أصيل وأديب له في النقد باع طويل ... لكن الوقوع في قصائد هذا الديوان ومحاولة المقارنة بينها يجعل القارىء في حيرة ... إذ لا وجه للمقارنة بين قوله :

ابعثيني مع الصباح هزاراً ومع الليل بسمة النيرات

وبين قوله من قصيدة (المومياء) :

والليل أحلام العذارى غافيات فوق نهد
في خصرها صوع ملح ... نهمه بوح لزند
وعلى مخدتها عيون ... سهرت من غير وجد
وخيال حب في السرير عفا كطل فوق ورد
لكنما الأحلام عادت ... كالمخاوف في ظلام

وليس هنا مجال للمقارنة ... فلا وجه لها هنا ... فشتان بين الصورتين وبين التعبيرين ... وبين طفح الشباب وتجربة الكهولة ... ولو أن الشاعر شاب يبحث عن الشهرة لما وقفت معه هذه الوقفة ؛ لأنني استكثر منه تلك المبالغات التي وردت في بعض قصائد هذا الديوان ، كقوله يخاطب ابنته :

فأنت في عقلك الصافي كمدرسة ... تثقفين بنات الجيل بالكتب
وأنت رائدة العلم في بلد ... نساؤها جامدات العقل كالخشب
فتحت عقلك في علم ومعرفة ... سقاك من كوبها الملآن خير أب

ومن هذه القصيدة قوله :

أكبرت عقل ابنتي أكبرت جرأته ... إن الشجاعة في فكر وفي أوب
قد هيأت من بنات الجيل قافلة ... وأيقظت في ربوع الخط كل غبي

ولست أدري بماذا أعلل أن تكون ابنة الشاعر هي الوحيدة المتفوقة بين نساء جامدات العقل كالخشب ... ؟ فهل تكونِ هي الوحيدة التي استفادت من فرص التعليم ، فواصلت السير بينما الأخريات لم ينلن حظاً من التعليم ... ؟ طبعاً لا ... فهذهِ الفتاة تخرجت مع مجموعة من بنات جيلها اللواتي حملن الرسالة ... وأدين ضريبة الواجب مما لا يصح معه أن نصفهن بأنهن جامدات العقل كالخشب ...

ولا شك أن له كأب الفضل الكبير في تنشئة أبنائه وبناته لا أعتقد بأي حال من الأحوال بأنه خير أب ... فهناك من الآباء من يفوقه تضحية وسهراً ... وكذلك من يفوقه علماً وإدراكاً ... وإلا لتوقفت مسيرة الحياة ، عند هذا الرائد وابنته التي أيقظت في ربوع الخط كل غبي ... فلئن تحقق هذا فإنها ستكون معجزة تحققت

في عصر لا يعرف المعجزات .

أحياناً تحاول أن تقرأ بعض القصائد يجذبك عنوانها ... فإذا ما توغلت في قراءتها ، وجدت تعبيراً عادياً ليست فيه جدة ، وإنما هو نظم مرصوف لكلام بديع اختاره الشاعر بعناية فوضع له الأوزان والقوافي :

صفي عالم الروح واستعرضي   عهوداً بها منية السامر
مددنا بساط الهوى مسرحاً   وبتنا على فجره الباكر

وقوله :

وإني وإياك في ربوة   تغلغل في الأفق الغابر
عبرنا عباب الدنا كالشعاع   وسرنا على موجه الهادر
رأينا الحياة جنون الغوى   تمثل فيها نهى الغادر
صفي يا ابنة النور موج الهوى   ففي موجتيه منى العابر

ومع ذلك فهذا الديوان لا يخلو من مقطوعات تحمل الكثير من الإبداع كقوله :

ألك يا مي رأي   مثل رأيي في الوجود ؟
إنما المرء كذئب   مختف خلف البرود
بعضه يأكل بعضاً   دونه منك الأسود
يرتدي المكر ثوباً   فيسمى بالحليم
يتجلى في مثال الورع   العف الكريم
سالباً قوت الأيامي   آكلا مال اليتيم

وكقوله من قصيدة (النهر الطروب) ١٣٩٧هـ :

لا لن أضيق اليوم بالأحزان صدراً
سأظل كالنهر الطروب يردد الألحان شعراً
كالشمس تضحك للمروج وتخلق الألحان عطراً
كالبدر يضحك في الدجى وينظم الأوتار سحراً

ويصل إلى القاهرة يتجول في شوارعها ... يدخل متحفها ، يشاهد المومياء وآثار الفراعنة ... يتمشى على النيل ، فيخرج من تلك المشاهدات بمحصلة جيدة من الانطباعات ، فينطلق مارد الشعر ليصف تلك الانطباعات فتخرج هذه اللوحة :

نجوم على أفق الكنانة شعشعت ومرت كأضواء على صفحة النهر
وكان من النيل العجيب تسرب إلى قطرات كن في النهد والصدر
زوارق تسري خافقات كأنجم مجاديفها أيد من الفجر والبدر[1]

(١) ولد محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي عام ١٣٤٣هـ . وتلقى دراسته الأولى على مدرس بلدته وعلى والده الشيخ علي الخنيزي ـ صدر له ديوانان قبل هذا (النغم الجريح) و (شيء اسمه الحب) ... وله ديوان معد للطبع عنوانه (كانوا على الدرب) وفي الدراسات كتاب معد للطبع عنوانه (أضواء على النقد في الأدب العربي) ـ الديوان .

التساؤلات في ديوان « الليل والضفاف »

التساؤلات في ديوان « الليل والضفاف »

التساؤل من السؤال وهو الاستفهام ... وهو غالباً ما يكون طلباً للوصول إلى معرفة شيء ما أو التعرف على حقيقة هذا الشيء ... لكن في بعض الأحيان يكون التساؤل للتوكيد ... توكيد حقيقة معينة والإصرار عليها ... أو يكون للإنكار والاستنكار ...

وديوان (الليل والضفاف) للشاعر مبارك بن سيف آل ثاني مليء بهذه التساؤلات ... فقل أن تخلو قصيدة من قصائد الديوان من سؤال ...

ففي القصيدة الأولى (بقايا سفينة غوص) نجد الشاعر يخاطب تلك السفينة ويستعيد معها ذكريات الماضي ... فيتوجه بالسؤال إليها :

أو تدرين إذا عم المساء ؟ وأتى النجم المتوج بالضياء
ورمى الغواص بالجسم المكبل... بالعناء ورمى يوماً شقياً قالياً ... ؟

ويجيب على ذلك السؤال التوكيدي ، الذي عايشته السفينة عندما كانت عامرة بالرجال تمخر عباب البحر ... الجواب يقول :

قد أتى الليل فما أحلى الغناء وأتى الصوت الشجي
ناشراً آهاته الثكلى دعاء ورجاء يبعث الآلام رسلاً وحنيناً ونداء

ويطلق ـ اليامال ـ في تلك المتاهات البعيدة أنة القلب الممزق ... والمعني بالوفاء ويتبلور هذا التساؤل التوكيدي في قصيدة (عشاق الشمس) فيقول :

يا صديقي ... ربما تسأل عن أشياء ... أشياء كثيرة
كيف للفجر الذي راح وولى أن يعود ؟
كيف تجتاز الدياجي العامية ؟

ويعيد النبض في تلك النجود ... والشطوط العاتية ؟
كيف عادت لذرا هذا الخليج العافية ؟
أترى ـ جوليا ـ قد أردتهُ أمواج الخليج
كيف ينقض على المارد صخر ... ثم يرديه قتيلاً

وفي هذا التساؤل يرمز إلى أيام الشقاء ، وقسوتها إلى الحياة إلى ـ جوليا ـ أو جالوت الذي قتله داود ... ويجيب بقصة تمر فيها عشرات الصور عن الماضي :

يا صديقي سوف أحكي لك قصة
لم تعد تفزعنا شمس الظهيرة
ونسينا قصة الشمس ... ورمضاء النهار المحرقة
فقد استيقظت الأرض على صخب المكائن
وهدير الخير في محمله ... يزرع الأحلام في الأرض اليباب
يتحدى ليلنا المظلم دوماً ... والعصور القاحلة
طاف أرجاء الخليج ... وصحت كل مدينة
طاف في كل الحواري ... مر في كل الشوارع
وزع البسمة ... والزهر المعطر في البيوت

وفي قصيدة (الليل والضفاف) تكثر التساؤلات :

هل أشكو لما بي من حنين ؟
أم أداري ما بقلبي من جوى ؟

وفي سؤال آخر :

فأجيبي يا نخيلات
هل سمعت رجع آهات الكليم ؟

ويسأل عن مصيره سؤال الحائر المندهش :

هل تراني في متاهاتي ... أضعت اليوم دربي ؟
أترى مرفأ المأمول ... قد ضاع بأفقي وغدا صعب المنال ؟

لكن وبما أن السؤال يتعلق بعواطفه فإنه لا يستطيع أن يعطي الجواب الشافي لكل تلك التساؤلات ، بل يتركها حائرة ويذهب في تهويماته مردداً أغانيه العذاب ... وعندما يخاطب محبوبته يفاجئها بسؤال :

هل تذكرين بساح الحي ملعبنا نلهو ونمضي على وعد بلقيا ؟
هل تذكرين إذا ما البدر مكتمل وأمسيات قضيناها بمرآة ؟

وهذه التساؤلات نبش للماضي المخزون في الذاكرة ...

وفي قصيدة (أغنية الربيع) يستنكر رحيل الربيع ، وغيابه مدة طويلة بينما الشاعر في حاجة إليه :

يا ربيعاً لم الرحيل شهوراً وهبوب النسيم نجمي وفجري ؟

وفي قصيدة (حراس القدس) يصف مشاعر فدائي سجين ؛ وما لقيه من التعذيب ثم يتساءل :

فهل خبرت جلادي بأن الأرض تعرفني ؟
وهل خبرت جلادي بأني مثل هذي الأرض ؟

وبعد أن يعدد مآثر منه ، وإصراره على مواصلة الجهاد ، من أجل الحرية يختتم القصيدة بهذا السؤال :

فهل خبرت جلادي ... وهل تعلم ؟

وهو يعلم أن جلاده المستعمر الغاصب يعلم بكل ما قال ويقول ... إلا أنه الإصرار على اغتصاب الأرض ، وقتل الأبرياء .

و (بين هياكل عشتار) وهو عنوان القصيدة نراه آلة الحرب ـ الأسطورة ـ التي كانت سائدة في بلاد ما بين النهرين :

من أين يهب الحزن عليك يا عشتار ؟

لكن عشتار رغم كل ما قدم له من قرابين وما أحرق في هيكله من بخور لا يزال حزينا وعيونه غافلة عمن حوله لأنه يفكر في إشعالها من جديد :

ما هذا الخلق ؟ أقزام ... أصنام من أحجار ؟
أو كيف لها فتسامرك ؟
أو كيف لها فتطاولك ؟
أو تشرب كل حليب الأرض ؟
أو تستسقي من ماء النار ؟

لكن عشتار ـ لا يسمع ـ تلك التساؤلات ـ لأنه يعيش في الماضي الذي حجب عنه الرؤية :

أترى عيناك ذرات غبار ؟
تمسك الأمس رفاقا ؟
تمزج الديجور بالحلم المبدد ؟
تزجر البسمة في عين النهار

وعندما يتسامر المحبون تسرقهم الأوقات ، فلا يحسون بطول الساعات :

هل إن ليلي قد طوى شمس الضحى
أم أن ليلي قد طواه نهاري ؟

هذا في الحقيقة ... لكن ماذا لو كان طيفاً عابراً قضى معه الشاعر تلك الفترة الطويلة :

ولكم سألت خيالها متردداً أين الفرار وأين قراري ؟

وفي مناجاة الدهر نجد الشاعر يلح في السؤال لكنه سؤال في الغالب لا إجابة له ... وأحياناً تكون الإجابة ضمن السؤال :

وهل يا ترى تلك العهود تزورنا أم العمر يمضي وانتهين أمانيا ؟
فأين ليالي الأمس يا جالب الأسى ويا جالبا من كل فوج عواديا ؟
أأشكوك دهراً يا رفيق مسيرتي وكيف يكون الدهر خصماً وقاضياً ؟
يقولون صبراً إنما الدهر منصف صبرت وما أدري أحزت المراميا ؟

إن محاولة الشاعر إخضاع هذه الأبيات لصيغة الاستفهام ، جعلها مهلهلة

ركيكة غير متماسكة البناء مع أنها لا تختلف عن باقي القصيدة في ضعفها .

وعندما يناجي النخلة نجده يصر في المساءلة لمعرفة مآلها وأحوالها ... ويسألها في حسرة عن عوادي الأيام وما تفعله بالناس ... ويسترجع معها ذكريات أناس مضوا وخلفوها وحيدة ... فيبدأ السؤال :

من كان يرويك بأمسك ؟ ... من يا ترى غرس البذور ؟
ورعـاك كالطفل الرضـيـع
هل هذه الأطـلال ... يا تـرى ... أطـلال قومك ؟
أطـواهـم الدهــر العـتـيــد ؟

نعم طواهم الدهر العتيد ، وبقيت النخلة وحدها تصارع العواصف صيفاً وشتاء ... فلا تملك إلا أن تردد مع الشاعر هذا السؤال :

يـا ويـح نفسـي ... إن بـانـت وانتـهـت تـلك العـهـود

وفي ذكريات الطفولة يوجه الشاعر أكثر تساؤلاته إلى رفيقة الصبا التي كانت تلاعبه وتسامره أيام طفولته وصباه في براءة وعفوية ... فيسأل إن كانت تذكر ... ويلح في السؤال :

وهل تذكرين أحاديث جارتنا إذ تقول
رميت بضرسيكما في السماء ؟
وهل تذكرين إذا ما جلسنا ... وأعيننا نحو باب الفناء ؟
وهل تذكرين نجوم السمر ... وألعابنا في ليالي القمر ؟
وهل تذكرين أهازيجنا ... إذا حان وقت الأصيل
وهل تذكرين سلالا صغيرة ستغدو كباقة ورد نضيرة ؟

وهذه تساؤلات لا جواب لها إلا الإيماء بالرأس ... ولما لم يجد الجواب أدرك أن تساؤلاته لا معنى لها ... لأنه ينبش ماضيا طواه النسيان ... إلا أنه يعود ليعزي نفسه :

فهل تذكرين ... ونحن صغار ؟
ولم نك نعلم معنى الشقاء ؟
ولا أن آمال كل الصغار يبددها الانتظار ؟
فهل تذكرين ... فهل تذكرين ؟

نعم إن الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني ، يلح في هذه الأسئلة المتلاحقة في كل قصيدة ... ومع علمه أن أكثر هذه التساؤلات ليست لها إجابة محددة ، وأحياناً لا نجد إجابة شافية إلا أنه يصر عليها علها تجلو خبايا نفسه وتوصل ما يريد أن يطرحه إلى القارىء في صورة سؤال استنباطي يستخدمه القارىء ليجيب عليه ...

ولا شك أن هذا فن الإلقاء وفن التلقي يجمعهما الشاعر في آن معاً ؛ ليوظفهما لخدمة قارئه بطريقة عفوية .

أغاريد من واحة النخيل

أغاريد من واحة النخيل

في كتابي أدباء من الخليج العربي ـ الحلقة الأولى منه ـ قدمت الشاعر يوسف عبداللطيف أبوسعد من خلال مجموعته الشعرية الأولى (زفير الناي) ... وفي الواقع أن تلك المجموعة كانت تمثل مرحلة معينة من حياة الشاعر ، هي مرحلة الشباب ... إلا أنها ـ أي المجموعة ـ وإن لم تمثل النضوج الفني لدى الشاعر إلا أنها أعطت دلالة أكيدة على ما يتمتع به الشاعر يوسف أبو سعد من إحساس مرهف وشاعرية فياضة واستعداد فطري ؛ للإتيان بعمل فني متكامل الرؤى متماسك العناصر ... قوي البنية ...

وبعد صدور كتابي في أوائل عام ١٤٠٦هـ ، صدرت للشاعر مجموعة شعرية بعنوان (أغاريد من واحة النخيل) ... ذات طباعة جيدة وورق مصقول ... وزاد من فنيتها أن جميع العناوين والخطوط الرئيسية من صنع الشاعر نفسه مما يدل على أنه فنان أصيل يمكنه أن يشارك في العملية الفنية قولاً وفعلاً ... وقد عثرت عليها صدفة في إحدى المكتبات ... وفيما أنا أراجعها وأعاود قراءتها صدرت للشاعر مجموعة أخرى بعنوان (شواطىء الحرمان) ...

ولا شك أن قراء يوسف أبوسعد يلمسون الفرق ... وما طرأ على الشاعر من تطور خلال الفترة التي امتدت من عام ١٣٨٧هـ ... حيث صدرت مجموعته الأولى (زفير الناي) ... وبين عام ١٤٠٨هـ حيث صدرت مجموعتاه الأخيرتان (أغاريد من واحة النخيل وشواطىء الحرمان) .

وتعالوا نستقرىء ما قاله الشاعر في مقدمة مجموعة (أغاريد من واحة النخيل) : « إن هذه الأغاريد تعبير صادق عن أحاسيسي وما يختلج في قلبي من مشاعر نظمتها فكانت متنفساً لتبديد أشجاني ومدعاة لإدخال السرور على نفسي » .

« أما الإهداء فإلى واحة خضراء غمرتني ولا تزال تغمرني بالدفء والحنان » .

إلا أنه في مجموعته الأخيرة (شواطىء الحرمان) يقول شيئاً كان يخفيه زمناً ولم يصرح به إلا في هذه المجموعة حيث يقول :

في كل قافية حرف يموج أسى   يطفو بأنه موتور وآه صدى
سطوره ترجمت إحساس ذي شجن   ساد تلظى من الحرمان والجلد

أما الإهداء فهو إلى الذين أبحروا على زوارق أحلامهم الوردية ، وتركوني وراءهم في دوامة القلق ... وحيداً على شاطىء الحرمان ... أهدي عصارة قلبي ونبضات وجداني ... مع عبير حبي .

نعم ... إنه تطور الشعر والشعور ... ففي المجموعة الأولى (زفير الناي) كانت التعابير لاهية غير محكمة ... ليس فيها ذلك الإحساس بالحرمان ... لكنه هنا يفيض أسى وكأنه لم يعد لديه ما يخفيه ... خصوصاًوقد انتقل إلى مرحلة الكهولة التي تتميز بالشجاعة المتعقلة ... والصراحة المتزنة ... وتعالوا نغوص في أفكار الشاعر ونبحر مع رؤاه ... ونتبع خطاه ... ونقف على أشجانه واحداً إثر واحد .

لقد أحسن الشاعر صنعاً حينما جمع كل قصائد المناسبات في مجموعة (أغاريد) وفي مقدمتها تلك القصيدة التي قالها من وحي السيرة النبوية ... يقول فيها :

جاءه الوحي وهو في الغار يدعو   في إهاب من الخشوع مطهر
قال جبريل : يا محمد اقرأ   خاف منه ثم انثنى وتدثر
ثم جاء الأمين بالأمر يسعى   ودعا المجتبى فقام وبشر
ودعا القوم للعبادة طرا   فتعالى الهتاف الله أكبر
وانبرى يحمل الرسالة فرداً   في صمود وراح بالحق يجهر
انقذ الخلق من براثن شرك   وضلال إلى سلام مؤزر[1]

ومن هذه الأبيات نرى كيف استطاع الشاعر أن يوظف الأحداث التاريخية

---

(١) أغاريد ص ١٤ .

لاستخلاص العبرة في إهاب روحاني ليس فيه ذلك السرد التاريخي المتدفق ... وتأخذه هذه السوانح من جوانب السيرة المطهرة إلى الواقع الذي يعاني منه شعب فلسطين فيصدق في صدق :

عبث الوغد بالقداسات جورا ... واستباحوا مرابع الأمجاد
شردوا الشيب والنساء الثكالى ... وأذلوا كرامة الأولاد
واستباحوا دماء كل أبي ... أعزل كبلوه في الأصفاد
دنسوا المسجد الشريف وعاثوا ... في حمانا وأوغلوا في الفساد
قد خبرنا اليهود من سالف العهد ... لنا الخصم والعدو البادي
فاقمعوا الظلم قد طغى السيل ... وانحاز العدا في البلاد للإلحاد
والعرين الجريح يصرخ فينا ... أين يا أسد ثورة الآساد ؟
وفلسطين بالأنين تلوت ... لاب فيها النداء : أين الفادي ؟[(١)]

وعندما ينتقل إلى الغزل نراه يستخدم الصور الجمالية ... في أكثر قصائده تحس تلك اللوعة والحرمان ... فينز من وجدانه ألم دفين يعبر عنه في أكثر قصائده ... وقد وقفت عند هذا الموشح الذي يحمل عنوان (الحب العائد) يقول في مطلعه :

عاد بساماً من الصحراء رفاف الجناح
يتهادى كنسيم هب من ثغر الأقاحي
يحمل البشرى ... ذاب من وخز الجراح
عاد يحيي سحر الليل وأنغام الصباح
عاد والبهجة في عينيه لا طل النواح
قبليه يا ملاكي وأحضنيه
وعلى صدرك في شوق ضعيه
واسأليه عن متاهات سفيه
إنه عاد كصداح الصباح[(٢)]

(١) أغاريد ص ٦٤ .
(٢) أغاريد ص ١١٣ .

ولا أدري ما هو إعراب بسام هذا . هل هو حال لمجهول ؟ ... فينصب أم انه اسم فيكون فاعلاً والفاعل مرفوع ... فلو قال عاد بسام فلا أعتقد ان الوزن يختل وسيؤدي معنى أكثر وضوحاً مما لمح إليه الشاعر .

فإذا انتقلنا إلى المجموعة الثانية (شواطىء الحرمان) نجد الشاعر يصهر كل أحاسيسه في بوتقة وجدانية متماسكة الجوانب ... فتلاحقه تلك الأحاسيس حتى في مناماته على شكل طيوف لا يملك إلا أن يهتف لها :

هتف الشعر للبهاء المنير   بغناء كوشاشات الغدير
بطيوف بغنجها داعبتني   في منامي مجلوة في حرير
شعشعت في يمينها للأماني   (شذرات) من نخبها المشهور
وسقتني من الغرام كؤوساً   رنحتني في نشوة المخمور
لست أدري أفي ذرا الخلد أحيا ؟   أم تراني على الفراش الوثير

والحق أنك يا صاحبي لا زلت في فراشك الوثير ... تحلم حلماً مزعجاً على صدى شذرات نخبها المشهور ... كشهرة ساعة بج بن ... فالسوائل ليست لها شذرات وإنما لها نقط ... وسامح الله القافية التي حكمت عليك باستعمال كلمة (مشهور) المزعجة .

وعندما يصحو الشاعر يفاجأ بأن ذلك الطيف تحول إلى حقيقة ... فيلاعبه ... ويناغيه :

يا بسمة الدنيا ... ويا أملي المجنح بالحنان
يا فجر أيامي ويا دنيا يلوح بها افتتان
يا جنة فاح الخزام بها ورف الأقحوان
يا كوكباً في أفق عمري شع من برج الأمان
مدي إلي يديك ولنمرح على رغم الزمان
العمر ساعة نلتقي فرخي يمام يسجعان

ولقد ظلم الخزامي فقص جناحه كما هو واضح ... مع أن وجود الألف

المقصورة لن يؤثر على الإعراب ... وكذلك فرخي يمام ... وليس من المستحسن إبدال ألف فرخ بياء مع أن كلاهما للتثنية ... وفرخاً يمام فاعل لما بعدها .

ومعذور شاعرنا إذ كثرت أحلامه ورؤاه المنامية فهو كما يقول :

امضي أنا والليل وحدي ما بين سهدي ووجدي
أمشي على شوك حبي والليل يحجب وردي
أند من مهد نار وأرتمي فوق مهد

ولا يلام الشاعر عندما يلجأ إلى الشعر وإلى الرؤى والأحلام ... فهو يعيش بين أناس لا (يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب) كما في قصيدته (يا قلب) :

يا قلب إن رف السكون وساد في الأجواء صمت
لا تأمنن معا ولا ولها بباب الأذن صوت
غاضت ينابيع الرضا فسرى إلى الأحلام موت
واستنسرت ريح الضغائن فارتمى - ذبلان - نبت
يا قلب كن حذر المسالك واعياً والأرض خبت
أنا قد رأيت تعالياً ولكم برمت بما رأيت
وخبرتهم سود الطوايا ملؤهم حقد ومقت
(أنا) إن نطقت الحق قالوا لي كذبت وما كذبت
(أنا) إن بذلت النصح قالوا لي أسأتَ وما أسأت
(أنا) إن أردت الصفح قالوا لي جبنت وما جبنت
(أنا) إن زجرت الشر قالوا لي جنيت وما جنيت
(أنا) إن كشفت غباءهم قالوا جننت وما جننت
(أنا) إن لزمت الصمت قالوا لي : خذلت وما خذلت
(أنا) لست أدري حار لبي في صدى قالوا وقلت
أأموت حزناً إن هذا الـ عيش إرهاق وكبت
يا قلب لا تحفل بهم فإني إن جهلوا حلمت
والنصر لي ما دام يوجد في سراج العمر زيت

أرأيتم هذه المقطوعة على حلاوتها ودقة تعبيرها تعثرت كثيراً في (الواو) التي في البيت الخامس ... ولو قال (فالأرض) لكان أسلم وأوقع ... كما تعثر كثيراً في كلمة (أنا) وكادت تسقط من شدة الإعياء ... لأن (أنا) تكررت في ستة أبيات دون أن يكون لوجودها أية ضرورة ، لا من الناحية اللغوية ولا من الناحية الفنية فلو قال :

وخبرتهم سود الطوايا ملؤهم حقد ومقت   إن نطقت الحق قالوا : لي كذبت وما كذبت

فما رأي شاعرنا العزيز في هذا ... أظن أنه سيقول : لقد سبق السيف العذل ... ولقد كان بودي ألا يكرر (كلمة أنا) ... وهو الشاعر المرهف الحس البعيد عن الأنانية ... كما كان بودي أن أطيل الوقوف معه في هذه النزهة الشعرية ... الطرية الأنسام لولا أن الحديث سيطول ويطول ... وأنا لم أعد احتمل الوقوف طويلاً بعد أن كلت القدمان وعشيت العينان وارتعش القلم .

الحب إيمـــــان

الحـــب إيمـــان

مبارك إبراهيم بوبشيت (نديم الليل) : شاعر ناشيء ، تسلل إلى صومعة النواسي بخفة ورشاقة ... فألقى فيها بعض خوالج نفسه فجاء تعبيره بسيطاً هادئاً ... حتى الشحنات العاطفية لم تكن تأخذ مسار التشنج والانفعال الفوري الذي يغلي في نفوس بعض الناس ... وإنما هي شحنات فيها من الهدوء ما يوحي بأن قائلها قد أوتي من الحكمة ما يجعله يطوع فنه لإرادته ... أما الوصف لديه فهو قمة الإبداع بالنسبة له .

جميلة أنت كالدنيا إذا ضحكت كأنك الروض يحوي الورد (لا) الثمرا
كأنك الفجر ينزاح الظلام به كنغمة الشوق تبكي العود والوترا
وأنت ناي الهوى أهفو لنغمته ... وأنت حزني في دمعي إذا انحدرا

ورغم جمال الصورة إلا أنني كنت أود لو أنه استبدل (لا) في الشطر الأول بحرف العطف (و) في أجمل الروض أن يحوي الورد والثمرا ... والشطر الأخير رغم رنة الأسى والحزن إلا أنه يكون أجمل لو أنه قدم الدمع على الحزن ... لأن الدمع إفراز للحزن وليس العكس .

ويأخذ بيدك إلى التهويم معه في عالم الأحاسيس الخطرة ، التي تبعد الإنسان عن واقعه :

مـالي أحـــس كـأنـني وحـــدي أطـوي الحـيـاة مشـتـت الجـهـد
في غـربـة ياليـتـها تـهـجـرنـي لكـنـهـا دومـاً عـلـى العـهـد

إنها غربة الروح التي تلف الفنان حينما ينظر حوله ، فلا يجد من يشاطره الأحاسيس والانفعالات .

وفي دنيا الحب نجده يتأوه على الماضي متذكراً عهد ليلى والمجنون وكثير عزة ... حب التضحيات ... أما في هذا الزمن فهو حب الاستغلال والدلال :

لا حب في زماننا كحب عصر قد سلف
فحبنا مدلل ... إن لم تدلله تلف
الحب أضحى طرفة نادرة بين الطرف
الحب أمسى عملة لاغية ... لا تنصرف
فارم بها في سلة الإهمال فالنقد اختلف

ثم يستسلم أخيراً ويلقي السلاح في منتهى اليأس :

ياعين لا تبك إذا المحبوب جافى أو صدف
يا قلب لا تجزع ولا تحزن إذا الخل انحرف
فالحب أمسى بالمزاد العلني ... للأسف

ولا شك أن الشاعر هنا قد أصيب بذلك الداء الذي لم يجد من ورائه فائدة فعمم القاعدة ... وهو خطأ ... لأن الحب كلمة عامة وشاملة لحب الأهل والوالدين والأبناء وحب الوطن وحب المال وحب الحبيب ... وقمة الحب هو حب الله ... فكل هذه المسارات لا يمكن أن تتحول إلى عملة لاغية ... وإنما طرف واحد هو الذي يعنيه الشاعر وأنا طبعاً معه خصوصاً في هذا العصر الذي طغت فيه العلاقات المادية على المشاعر الإنسانية .

ورغم كل الأحجار التي رمى بها الحب إلا أن وجيب قلبه لا يطاوعه على السكون حيث تتحول لديه ساعة الوداع إلى ساعة احتضار يقول :

هل قرأت الحزن في عين الحبيبة   أو سمعت القلب قد أعلى وجيبه
أو لمست الصوت مبحوحاً   يعاني ساعة التوديع غصات رهيبه

رهيب هذا الشعر في تعابيره وصوره :

أو رأيت الدمع محبوساً
بصمت يرسم الأحزان ألواناً عجيبه
لحظة التوديع للأحباب
سهم يطعن الألباب ... طعنات مصيبه
حينما قلت وداعاً
مزقتني منك يا حسناء
نظرات كئيبه

ولعل القارىء يسأل كيف التناقض بين ما قاله في مقطوعته السابقة عن الحب وبين هذه المقطوعة . وقد أحسن الشاعر صنعاً عندما وضع تحت كل تاريخها . فالقطعة الأخيرة قيلت عام ١٩٨١م . معبراً عن عاطفة مشبوبة ... أما تلك القطعة السابقة فقد قالها عام ١٩٨٣م بعد أن اتضحت له الأمور فدب إليه اليأس بعد أن اكتشف الزيف وعدم الصدق ... بينما هو يمثل ذلك الجانب الذي التزم فيه الصدق والوفاء رغم كل تلك الآلام :

آه كم عانيت من صدقي وكم ساقني الصدق بعنف للشقاء

ولا غرابة أن يتصور الشاعر أنه يعطي أكثر من غيره ... فهو مزيج من المشاعر والأحاسيس والتعابير ... إلا أنه رغم كل شيء محتفظ بكرامته :

لكن نفسي فوق كل عواطفي وكرامتي تعلو على وجداني

لكن رغم كل تلك الشحنات المتذبذبة بين العقل والعاطفة نجده يحن للذكرى :

أنا إنسان طغى الحزن على روحي وذاتي
وأكلت الهم ممزوجاً بأحلى وجباتي
كلما قلت تناسيتك هاجت ذكرياتي

ويصف هذا التذبذب وعدم الثبات على حال في مقطوعة أخرى :

وتمضـي بنـا الأيـام ... يـوم أحبـهـا وأشـتـاق ذكـراهـا تـفـوح وتـعـبـق
ويـوم كـأنـي قـد نسـيـت غـرامـهـا وصـدري بـذكـراهـا الأليـمـة ضـيـق

ثم يأخذ في مساءلة نفسه ... وقلبه :

أيا قلب ما هذا التذبذب في الهوى أيا قلب إني منك في الحب مرهق

أما القصيدة التي تحمل عنوان الديوان (الحب إيمان) فقد حاول أن يصف فيها لواعج الحب وصف مجرب :

أما عن الحـب فـاسـأل من يـعـامـلـه إن الـقـلـوب لـركـب الـحـب بـسـتـان
فـاذهـب لـقـلـبـك حـتـماً سـوف يـعـرفـه فالقلب والحـب عـصـفـور وبـسـتـان

ويركز الشاعر في آخر قصيدته على تلك الغربة التي يعاني منها الفنان ... وليس أسوأ على الفنان من شعوره بالغربة وإحساسه بالوحدة ، وهو بين أهله وعلى أرضه ... لأن هناك حاجزا بين الفنان وبين من حوله لأنهم لا يحسون ما يحس ولا يعلمون ما بداخله من مشاعر :

يا لعمر أعيشـه في اغـتـراب ... غربـة الروح لا اغتراب التراب
غـربـة الهمسـة الرقيـقـة تسـري ... في ضجيج وزحمة واضطراب
غربتي يا حبيبتي بين أهلي ... هي كالسم « كالعمى » كالحـراب

ومن المؤكد أن استعراض كل قصائد هذا الديوان ستحتاج إلى مساحة من المكان والزمان تطول ... لكنها لمحة عابرة عن فنان شاب أراد أن يعبر إلى عالم الرؤى ... يكسر الحواجز لينطلق مسخراً التعابير الفنية لا متناهية ليبرز إلى الساحة الأدبية صوتاً شجياً تحس فيه الألم والغربة ... وتقلب العواطف والأحاسيس .

في موكب الفجر

في موكب الفجر

الأستاذ عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد ـ إن جاز لي أن أسميه ـ حامل هموم الأدب في الخليج العربي ... فهو أول من حاول أن يجمع بعض الآثار الأدبية ... وتراجم بعض الأدباء من الخليج العربي حينما نشر أول كتاب يهتم بهذه الناحية قبل ثلث قرن ، وبالتحديد حين أصدر عام ١٣٧٧هـ كتابه الرائد (الأدب في الخليج) والذي أصبح مرجعاً هاماً للباحثين ودارسي أدب الخليج العربي ... ثم أتبعه بكتاب عن قبيلة العوازم ويعد أول بحث يهتم بقبائل منطقة الخليج العربي .

وقد صدر له في الآونة الأخيرة كتاب (أصول المنهج الإسلامي) وهو يتناول الأحكام الشرعية وطرحها للطلاب بطريقة سهلة مختصرة .

أما ديوان (في موكب الفجر) ... فهو ديوان قديم جديد ... قديم لأن الشاعر قال بعض قصائده قبل أكثر من ربع قرن ... ولأنه التزم بالوزن والقافية ... وجديد في تناوله لأغراضه الشعرية التي لم تخرج عن أطر الحياة العصرية .

وقد قسم قصائد الديوان إلى مجموعات ... أولها مجموعة خواطر شاعر ... يضع في مقدمتها قصيدة بعنوان (خواطر شاعر) يقول فيها معبراً عن خلجات نفسه ... جامعاً بين أحاسيسه كإنسان وأفكاره كشاعر :

أشواق قلبٍ على أشواق تفكير   تجري فتأسر أنغامي وتصويري
ومهجة تلهب الأحلام عارمة   لتنقذ النفس من أنات مأسور
لكي تضيء حروف في منابعها   وتسكب النجم أطيافاً من النور
وتستشف أريج الزهر ضوعه   همس الندى وحكايات العصافير
حيث الطبيعة ملك لا يضارعه   ملك القصور ولا ملك الدنانير

فمن هو ذلك الذي تختلج أحاسيسه بهذا الشكل المتفجر ... ؟

للإجابة على هذا السؤال ينقلنا الشاعر إلى مرحلة زمنية سابقة بربع قرن على الأقل ... ليعرفنا على ذلك الذي عرف الحقيقة ، وغنى على أوتارها أنغاماً تلامس شفافية روحه ... فهو بين الحقيقة والخيال شاعر يعبر عن أحاسيسه ... يرسلها لحناً تردده السهول والوديان وتحفظه الأجيال لتحفر على وجه التاريخ تلك الأماني العذاب :

من ذلك الشادي يصارعه يباب مقفر
حيران أضناه السراب كتائه يتعثر

لكن حيرته لا تطول عندما يعلم أن له في الحياة رسالة سامية ، فيشدو ثم يشدو دون أن يبالي بما يصيبه ما دام قد عرف حقيقة نفسه :

هو معزف الآمال يعصف بالهوان ويسخر
عرف الحقيقة فاستحث وراءها يستفسر
وعلى يديه اللحن يوقظ هجداً والمزهر

وعلى اختلاف مراحل عمر الشاعر نراه يعطي ألوانا وخيالات ويأتي بتعابير توحي بها تلك المرحلة الزمنية التي عبر بها شاعرنا في سن العشرين أو عن تلك السنوات العشرين كما يقول شاعرنا :

مرت كطيف عابر يسير في تردد
وخلّفت أريجها على شباب أصيد

لكنه عندما يصل إلى الثلاثين يبدأ في حساب الزمن ، والمحافظة على كل ثانية من ثوانيه-مع أنه لا يزال يحس طعم الشباب ويستنشق أريجه ... فتلك الثلاثين كما يقول :

قد طوينا شراعها لفؤاد به خفق

وفي الأربعين يبدأ يتحسس مواطىء قدمه ... ويحسب لكل كلمة حساباً ... فسن الأربعين هي سن اكتمال العقل والرشد ... فيأخذ في المقارنة بين البكاء والغناء والصحيح والخطأ واللهو والجد ... إنها موازنات لا يحسنها الشباب خاصة في عالم

الشعر ... فكثير من الشعراء انتقلوا إلى الدار الآخرة لكن أشعارهم لا تزال باقية وذكرياتهم لا تزال خالدة في العقول ... صحيح أنهم انتهوا لكنهم لا زالوا عناوين الفخار :

كأنهم درة أضحى يقلّبها غواص دارين حتى أبدعوا فينا
أحلامهم كنجوم الصيف ساطعة وفي الصحائف قد أضحوا عناوينا

ومن الخمسين ... مرحلة الانتقال إلى الكهولة ، وتذكر أيام الصبا من سمات الكهول ، فيأخذ العد التنازلي ينبه العقل إلى ما يجب أن يعمل ... ويأخذه إلى طريق السمو بالنفس ... فهو مهما بلغ من العمر ... ومهما كانت لديه من الثروة لا يجد سوى بيت القصيد تعبيراً ، والتقوى أسلوباً ومنهجاً ... وذكر الآخرة درساً يومياً :

والقلب يسمو في الحياة بعلمه وبربه تحلو له الأذكار
فعلام بعض الناس ينسى ربه وهنا النذير وسيفه بتّار
وعلام يفتخر اللئيم بجاهه والأغنياء يقودهم دينار
يفنى الذي شادوه من آثارهم والفكر باق في الدنا معطار

وتأخذ الطبيعة قسطاً لا بأس به من اهتمامات الشاعر ... فالطبيعة البكر لا تزال ترسم صورتها في ذهن الشاعر الذي عايشها في طفولته وصباه :

ربوة خضراء قد عانقها من رفيف الحب نور وسنا
وعلى دوحتها قام بها أخضر الريش يغني حولنا
لا تقل لي مرّ عام وعلى همسة عابرة عشنا هنا
كل زهر قد قطفناه أتى باسم الثغر يناجي روضنا

إلا أنه عندما ينتقل من ربيع الصحراء الموسمي إلى الربيع الدائم على شاطىء نهر الرون ... يجد شيئاً يختلف عما ألفه :

وأن بياض الثلج يزهو بطله على القمم النشوى وشم العرانين
يذكرني طيف الخيال أصوغه على نغمة حرى تجيش وتسبيني

لكن الإنسان هو الإنسان ، سواء في الصحراء أو في الغابات أو في قمم الجبال ... من الطين يخلق وإلى الطين يعود ... إلا أن بعض الناس يعودون إلى الطين وهم أحياء :

عجبت من الإنسان عاد مكبلا — إلى الطين تستولي عليه النوازع
صراع على حب التملك موغل — تثار حروب حوله وفظائع

والوطن عند شاعرنا عبدالرحمن العبيد ليس تلك القرية الغافية على شاطىء الخليج العربي (الجبيل) ... ولا هو تلك المنطقة الممتدة من عمان إلى حدود البصرة ، بل هو الوطن الإسلامي كله ... كل الوطن العربي من المحيط إلى الخليج ... بل كل ذرة في الخليج وقطرة ماء .

فعن الجبيل يقول :

درجت بين رباها وهي تنفحني — بالشوق يجري ندياً في شراييني
غنيتها الشعر من قلبي وصغت لها — عقداً تتيه به كالخرّد العين

ويمتد هذا الحب إلى نجد ولبنان ، وفلسطين وغيرها حيث يمتد مجد العرب :

أرى في روابي مكة اليوم نوره — يشع على نجد فتشتاق لبنان
سمت بمعانيه حضارة أمة — وأثرت به من غرّة الدهر أزمان

وتتسع دائرة حب الشاعر للوطن حتى تشمل كل الأرض التي يقف فيها المسلمون صامدون يكافحون من أجل عقيدتهم :

الأرض أرضي والسماء وتحتها — بحري وفوق البحر خفق شراعي
فإذا شممت شممت طيب هوائها — ينساب بين شواطىء وبقاع
وإذا دعوت دعوتها فتجيبني — بالشوق يلهب أدرعي وقلاعي

الأدب القطري الحديث

الأدب القطـري الحديـث

صدر هذا الكتاب منذ عام ١٣٩٩هـ قبل أن يحصل مؤلفه على شهادة الدكتوراه في الأدب ... وكنت أتطلع منذ ذلك الحين أن أرى كتاباً يتحدث عن الأدب في الخليج العربي كوحدة واحدة ... ولكني مع الأسف لم أجد إلا تآليف إفرادية كل منها يتحدث عن منطقة أو إقليم منفرد عن بقية الأقاليم ... وحتى هذا الاتجاه لم يكن يغطي كل الأقاليم ... فإن ما ألف حتى الآن يغطي بعض النواحي ويهمل الأخرى ... ولم يشمل كل الأقاليم ، ما عدا دولة الكويت التي وجدت من باحثيها ومؤلفيها كل اهتمام .

وقد صدر في الكويت خلال تلك الفترة عدة كتب مثل : الحركة الأدبية في الكويت لمؤلفه محمد حسين عبدالله ، وأدباء الكويت في قرنين للأستاذ خالد سعود الزيد ، وأدب المرأة في الكويت وأدب المرأة في الخليج ، والجزيرة العربية للمؤلفة الأستاذة ليلى محمد صالح .

وفي المملكة العربية السعودية صدر الكثير من الكتب التي تؤرخ للأدب الحديث لكنها كتب تقتصر على أقاليم معينة ــ مثل كتب : « شعراء نجد المعاصرون » لمؤلفه الأستاذ عبدالله بن إدريس ــ « وسوق الأدب والنقد في القصيم » لمؤلفه الأستاذ دريد يحيى الخواجة ــ و « الأدب الحجازي الحديث » للدكتور عبدالله الفوزان ــ و « النثر في شرقي الجزيرة العربية » للدكتور عبدالله بن علي آل مبارك و « الشعر المعاصر في البحرين » للدكتور علوي الهاشمي ، وهذه الكتب كما أرى لم يحاول أي منها وضع دراسة شاملة للأدب في المملكة الغربية السعودية . فضلاً عن الأدب في الخليج العربي ، مع أن الأستاذ عبدالرحمن العبيد حاول ومنذ أكثر من ثلاثين عاماً وضع أساس لهذه الدراسة بإصداره كتاب « الأدب في الخليج العربي » على ما فيه من اختصار شديد . وكتاب الأدب المعاصر في الخليج العربي

لمؤلفه المرحوم عبدالله الطائي الذي ألفه قبل أكثر من ربع قرن .

ويقف الباحث حائراً متسائلاً عن الأدب الحديث في عمان والأدب المعاصر في دولة الإمارات ... يبحث فلا يجد سوى نتفة هنا ونتفة هناك منشورة في بعض الصحف والمجلات الأدبية ... ومع ذلك يكون الكتاب الذي بين أيدينا إضاءة مبشرة لفتح الطريق أمام الباحثين عن الأدب القطري الحديث .

هذا الكتاب كما يقول مؤلفه الدكتور محمد عبدالرحيم قافود في الإهداء : « أهدي هذه الدراسة المتواضعة لتكون لبنة من اللبنات التي وضعوها ـ أي شباب قطر ـ أو سوف يضعونها لبناء صرح بلدنا العزيز » .

ثم يبدأ الكتاب بمقدمة كتبها الدكتور ماهر حسن فهمي عميد كلية الآداب بجامعة قطر والذي أشرف على إعداد هذه الرسالة حيث يقول في مقدمته :

(والحقيقة أن الباحث قد أحاط بموضوعه إحاطة شاملة . وعرض قضاياه رابطاً بينها مفسراً لها ... ولا ينبغي أن ننسى حين نبني القصور أولئك الذين قطعوا الصخور ، ومهدوا الطريق كما كان يقول المازني ... ومهما اختلفنا مع الباحث في مدلول الشعر العذري حين يراه الشعر الذي يصف المحبوبة وصفاً حسياً دون تبذل ، ونراه الشعر العفيف الذي يصف العواطف في سمو روحي بعيد عن الجسد أو اختلفنا معه في مفهوم التجديد أحياناً ... فمما لا شك فيه أن هذا البحث قد سد فراغاً في المكتبة العربية كنا بحاجة إلى من يقوم به) .

وكتب المؤلف مقدمة ثانية كانت بدايتها حديثاً عن المنهج الذي اتبعه في إعداد هذا البحث والمتاعب التي صادفته أثناء إعداده للبحث .

ثم أخذ يفصل أبواب الكتاب ، ويتحدث عما ينضوي تحت كل باب على طريقة بعض الأقدمين ... وقد قسم كل باب إلى عدد من الفصول خصص لكل موضوع فصلاً خاصاً ... وهو تقسيم جيد مريح للقارىء ويضعه أمام بحث منهجي مدروس .

ففي الفصل الأول من الباب الأول تحدث المؤلف عن الحياة العامة مع نبذة

جغرافية وتاريخية ... وفي الفصل الثاني تحدث عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

ويستوقفني الحديث عن الناحية التاريخية ، حيث أرى أن المؤلف لم يتعد ما ذكره ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » أثناء حديثه عن الحقبة التاريخية قبل الإسلام ... بينما هناك بحوث تدل على أن منطقة الخليج العربي ذات امتداد تاريخي يعود إلى ما قبل ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ... ولو رجع إلى الكشوف الأثرية في العراق وفي دولة الإمارات العربية والبحرين لوجد أن هناك دلائل تشير إلى امتداد الحقبة التاريخية إلى حضارة العبيد . وأم النار ... وسومر ... حيث كان يطلق على المنطقة ـ الخليج العربي ـ اسم دلمون .

وذكر أن ممن ينسبون إلى قطر من الشعراء (المثقف العبدي) ولا أدري لماذا خص قطر بهذا الشاعر ؟ ... إن حجة المؤلف أن اسم قطر ورد في بعض أشعاره ... وهذا ليس بالدليل الكافي لنسبة شخص معين إلى مكان معين ... حيث أن منطقة الخليج الواسعة الممتدة من عمان إلى البصرة كان فيها العديد من الشعراء ينتقلون من مكان إلى مكان دون تحديد مكان بعينه نستطيع أن ننسب أيا منهم إليه ... وهذا ما يواجه المؤرخ الذي يريد أن يكتب عن جزء من أجزاء منطقة الخليج فإنه لا يستطيع أن يفصل ذلك الجزء تاريخياً ولا جغرافيا خاصة في الفترات السابقة للتاريخ .

ثم يتدرج المؤلف إلى الحديث عن قطر في العهد الإسلامي ، فتواجهه تلك القفزة الرهيبة في التاريخ فلا يجد ما يتحدث عنه من الناحية التاريخية ... ولو ربط تاريخ قطر بتاريخ البحرين التي كانت تشمل منطقة الخليج العربي آنذاك ؛ لأتيح له المزيد من الحديث عن وفد عبدالقيس ، وعن الجارود بن المعلي وعن المنذر بن ساوي ... وعن حروب الردة التي قادها الحطم بن ضبيعة ضد أهل هجر وعن البحرين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا أن المؤلف يتجاوز كل ذلك ويقفز إلى العصر الأموي حيث يتحدث عن قطري بن الفجاءة أحد زعماء الخوارج وقد نسبه إلى قطر وأن مولده في (المعدان) أو الأعدان التي قال إنها إحدى قرى قطر ... والصحيح أن الأعدان هي الجزء الجنوبي من الكويت ولا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم ... ولو رجع إلى القسم الجغرافي من دليل الخليج لوجد تفصيلاً أكثر حول هذا الموضوع .

وإطلاق اسم القطري على جعونة بن يزيد ليس دليلاً على أنه مولود في قطر ... فهناك العديد من الشعراء والأدباء من مواليد هذه المنطقة ـ منطقة الخليج ـ ذهبوا إلى البصرة والكوفة ومكة المكرمة فكان بعضهم يسمى البصري وبعضهم يسمى الكوفي وسمي بعضهم بالمكي .

وقد اتخذ قطري بن الفجاءة هذا الجزء من جزيرة العرب (قطر) مقراً له ومنطلقاً لتحركاته فعرف به ... وهذا هو الأنسب ثم إن المؤلف أوجز الحديث عن قطري ... وهو جزء هام من تاريخ هذه المنطقة ، وكان الواجب أن يتوسع في البحث من الناحية التاريخية التي تكاد تكون مجهولة إلى حد ما لدى البعض ... خاصة في هذه الفترة التاريخية بالذات .

وما أصاب هذه الفترة من الإيجاز أصاب الفترة التي ساد فيها صاحب الزنج ... وكان الأكثر خللاً ذلك الحديث عن القرامطة الذين امتد نفوذهم إلى العراق والحجاز والشام واستمر من سنة ٢٧٣هـ حتى سنة ٤٠٠هـ ... فإن حديثه لم يتجاوز نصف صفحة ... وهي فترة طويلة أثرت في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ... وفي حاجة إلى المزيد من جلاء غوامضها وإيضاح بعض جوانبها .

وما قاله عن الدولة العيونية من ٤٦٥ ـ ٦٣٠هـ لا يعدو ما قاله عن القرامطة بل أقل منه بقليل ... وهي فترات تكاد تكون مجهولة بالنسبة للكثير من القراء وكنت أود لو أن المؤلف بسط الحديث عن النواحي التاريخية والتيارات السياسية والفكرية في الخليج خلال الفترة من سنة ٢٠٠ ـ ٦٠٠هـ إلا أنه مر بها مرور الكرام .

وبالنسبة للنفوذ البرتغالي فإن اختصار المؤلف للمسافة الزمنية فيه كثير من الفائدة لأنه سيكرر ما قيل ، لكنه أطال الحديث عن توقفه مع الحكم العثماني والاستعمار البريطاني والقوى المحلية وهي فترة مهمة كان لا بد أن يجلو غوامضها إلا أن اتجاه بحثه يحتم عليه الاختصار في هذه النواحي ليعطي الناحية الأدبية حقها .

وأثناء الحديث عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية نجد المؤلف يعطي تفسيرات لبعض الكلمات المستعملة في الغوص مثل :

ـ **النوخـذة** : قال إنها كلمة فارسية الأصل تعني أمير السفينة أو قائدها .

ـ **المجدبي** : نائب النوخذة . وهي في الأصل : المقدم . لكنها أخضعت للهجة المحلية في الخليج .

ـ **الغـواص** : وهو الذي يغوص في قاع البحر . وصحة نطقها في الخليج الغيـص .

ـ **الرضيـف** : الصبي الذي يقوم بخدمة العاملين على السفينة ، ولو أعادها إلى أصلها لوجد أنها تعني (الرديـف) وهي كلمة عربية .

ولقد أطال المؤلف الحديث عن هذه الناحية ، مستعرضاً عملية الغوص على اللؤلؤ وصيد الأسماك ... ثم ينتقل إلى الزراعة ثم صناعة البترول التي أحدثت الطفرة الاقتصادية ، وقفزت بالتعليم قفزات بعيدة المدى .

وبعد ذلك يستعرض المؤلف جوانب من الحياة الاجتماعية ، التي هي صورة من صور متماثلة في أكثر أقطار الخليج ... وأقرب ما تكون إلى المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين .

وفي الفصل الثالث ينتقل بالحديث عن الحياة الثقافية ، متخذاً من ذلك مقدمة تاريخية لبحثه مستعرضاً خلال هذا الفصل نشأة التعليم ، وتلك البدايات الأدبية التي كانت على أيدي محمد بن عثيمين ، والسيد عبدالجليل الطباطبائي والشيخ قاسم ابن محمد آل ثاني .

في الباب الثاني يتعرض المؤلف للنثر في مرحلته الأولى التي حددها المؤلف من سنة ١٨٩٣ إلى سنة ١٩٣٧م وهي عبارة عن رسائل بين الحكام ، ومقدمات بعض الكتب مثل كتاب بستان الأكياس والأفراد من الناس لمؤلفه عبدالرحمن بن صالح الخليفي ، ومقدمة كتاب نزهة الأبصار لمؤلفه عبدالرحمن بن درهم .

أما المرحلة الثانية : فتتـناول المرحلة التي بدأت مع ظهور الصحافة أي منذ عام ١٩٧٠م . وترك المؤلف فجوة زمنية حوالي ٣٥ عاماً دون الإشارة إليها بقليل أو كـثيـر .

في هذه الفترة ـ الثانية ـ يستعرض المؤلف أنواع المقالات التي ظهرت في قطر ، مثل المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية ، والمقالة الأدبية مدللاً على كل نوع بأنموذج ... ثم يستعرض خصائص المقالة كل حسب ما صنفه المؤلف وفي إيجاز

شـديــد .

ثم ينتقل من المقالة إلى القصة القصيرة ... وفي مقدمة هذا الجزء يستعرض أقوال النقاد كادجار ألن بو ... وأديث هوارتون ـ وما كان أغناه عن هذه الاستشهادات ... ومن ثم استعرض المحاولات الأولى لكتابة القصة القصيرة ممثلة في مجموعة (بنت الخليج) ليوسف نعمة ... أما مجموعتاه الأخيرتان (لقاء بيـروت) و (الولد الهايف) فإن المؤلف لا يعطيهما التصنيف القصصي ، إذ أنه يرى أنهما مجرد حكايات عادية يتناقلها الناس . بالإضافة إلى ما يتخللهما من نقاش سياسي وآراء لا تمت إلى الموضوع بصلة .

أما أول قصة في نظر المؤلف فهي قصة (الحنين) للكاتب : إبراهيم المريخي رغم ما فيها من مآخذ أشار إليها المؤلف ... ثم يأخذ في سرد أسماء القصص وكتابها مبدياً عليها ما يلاحظه من جوانب النقص ... أو الخلل الفني ... ومن القصة ينتقل إلى المسرح ، متحدثاً عن المسرحية كنص أدبي علماً بأن كل ما وجد من مسرحيات لا يتعدى كونه بدايات أولى نحو الطريق إلى المسرح مستعرضاً خلال حديثه خمس مسرحيات قطرية هي :

أم الزين ـ باقي الوصية ـ هوبيل يا مال ـ الجريمة . وكلها باللهجة العامية ... وكلها تقريباً متشابهة من حيث المنحى الاستعراضي ، وتعالج مشاكل اجتماعية متقاربة .

أما مسرحية « المغني والأميرة » وهي باللغة العربية الفصحى فهي قريبة في أجوائها من ألف ليلة وليلة إلا أن المؤلف استطاع أن يجعل من هذه القصة الشبه خيالية ، قصة واقعية ذات أحداث وأماكن ورموز معروفة .

ويقرر المؤلف في أكثر من موقف : أن هذه المسرحيات لا تخلو من لهجات الوعظ والإرشاد ... لو لهجة خطابية ... وهو ما يفقد المسرحية عفويتها .

وقبل أن أختم الحديث عن موضوع النثر ، أود أن أشير إلى أن المؤلف قد أشار إلى مجلة الدوحة ومجلة العهد ومجلة الخليج الجديد ، ومجلة العروبة ومجلة الصقر ... وكنت أود لو وقف المؤلف متسائلاً ما هو تأثير هذه المجلات في الحياة

الفكرية في قطر ... أو في توجيه الفكر القطري ... وكم عدد القطريين المشاركين في هذه الأجهزة الإعلامية الرائدة ؟ إن نسبتهم مع الأسف لا تساوي شيئاً ... وحتى أولئك الذين تبرز أسماؤهم على صفحات هذه المجلات من أبناء قطر ، فإنهم من الإداريين إذا استثنينا بعض الشخصيات مثل الدكتور حسن نعمة وأم أكثم ومبارك ابن سيف آل ثاني .

وعندما ينتقل إلى القسم الثاني أو كما يسميه الباب الثالث فإنه يعالج الشعر القطري الحديث ...

ففي مرحلته الأولى ـ كما يقسمه المؤلف ـ يتناول أغراض الشعر التي كانت لا تعدو المديح والرثاء والترسل والغزل ... وقد برز في هذه الأغراض ماجد بن صالح الخليفي ، ومحمد حسن المرزوقي وأحمد بن يوسف الجابر وعبدالرحمن المعاودة ... ولا أعرف كيف تناسى المؤلف (الباحث) شعر عبدالرحمن المعاودة الوطني ... ومسرحياته التي عملها في البحرين ... فهي تخرج عن نطاق هذه الأغراض التقليدية حتى وإن حاول المؤلف أن يفصل المرحلة السابقة من حياة المعاودة عن نطاق الشعر القطري ... وهذا ليس مبرراً لأن حياة الفنان والشاعر كل لا يتجزأ رغم ما يعتوره من تطور فكري واختلاف في النظر للأمور .

وقد أسهب المؤلف أثناء حديثه عن السيد عبدالجليل دون داع لذلك لأن شعر السيد عبدالجليل لم يكن يعدو تلك التقليدية ثم إن حياة السيد عبدالجليل أكثر تعرضاً للانتقال من مكان إلى مكان ... فهو قد استقر في البحرين فترة ثم في قطر ... ثم عاد إلى العراق ... ولا يمكن بحال من الأحوال نسبته إلى مكان بعينه ... كما أجحف كثيراً في حديثه عن الشاعر ابن عثيمين وعده من شعراء قطر بينما الفترة التي قضاها في قطر فترة محدودة انتهت بعودته إلى نجد ... مع أن المؤلف قد وصف شعره بقوة المعاني وجزالة الأسلوب ، إلا أنه يسير في ركب الشعر الجاهلي حتى في طريقة عرضه الشعري فيبدأ بالغزل :

نعم هذه أطلال سلمى فسلم ... وأرخي بها سيل الشجون وأسجم
وقف في مفانيها وعفر بتربها ... صحيفة حر الوجه قبل التندم

وفي المرحلة الثانية التي خص بها الفصل الثالث من هذا الجزء يتحدث الشاعر عن الشعر القطري المعاصر ويبدأها بمقارنة بين الشاعر عبدالرحمن المعاودة في قصيدته عن العام الهجري والتي مطلعها :

قد أقبلت في روعة وجلال   غراء يبهر نورها المتلالي
طلع الهلال مهللاً لقدومها   فكان ذلك براعة استهلال

وبين أحمد بن يوسف الجابر وقصيدته عن الهجرة التي يقول في مطلعها :

ثوى المصطفى يدعو ثلاثاً وأربعاً   وستاً فلم يقدر له ما تمناه
ولما تمادى ضاق ذرعاً بأمره   دعا الصادق الوعد العظيم فلباه

ومع أن قصيدة المعاودة أسهل وأروع استهلالا ، وألطف عبارة فهي تمتاز أيضاً بالتجديد في الموضوع فهو قد استلهم العبرة من موضوع الهجرة .

وعلى كل ففي هذه المرحلة ... سواء كان الشعراء فيها المعاودة أم الجابر أم الدكتور حسن نعمة فهي مرحلة تقليدية تميز فيها المعاودة باتجاهه القومي .

وعندما يتحدث عن المرحلة التجديدية فهو يرى أن التجديد لم يقتصر على الموضوع بل تعداه إلى الشكل والمضمون وطريقة التعبير حيث خرج بعض الشباب على النظام الموروث ... ويستشهد بمقطوعة للشاعر مبارك بن سيف آل ثاني يقول فيها :

أيه يا ماء الخليج
كم جميل أنت من خلف الشطوط
إنك الخدر الذي يحجب في الأستار
آلاف المآسي
ظالم أنت وجبار وغدار وقاسي
تزرع اللؤلؤ في الأعماق
كالصيد الدفين
وهي لا تعدو سراباً وكمين

وهي قصيدة طويلة كان على المؤلف أن ينسبها إلى البحور ، وأن يضع التفعيلات التي تناسبها حتى يصح الاستشهاد بها في مجال الشعر .

ويشير أيضاً بل يورد مقاطع من قصيدة بتوقيع بنت الخليج ، تتنوع فيها القافية من مقطع إلى آخر ... وهي في مجملها ممثلة القلق والخوف من الضياع والتشاؤم وعدم الثقة في النفس :

أنا ذا أبحث عن طفل رضيع
شب يوماً وبدأ أحلى ربيع
صارع الدنيا وفارقها صريع
لم يلب هاتف القلب الوديع
واختفى عني على درب مضيع

ولقد أسهب في الحديث عن قصائد معينة للشاعر : مبارك بن سيف آل ثاني بينما كان المفترض أن يكون هو النموذج الحي الذي يمثل الشعر القطري الحديث .

ولقد ختم المؤلف كتابه بفصل من الشعر النبطي ، ثم دراسة لكل من السيد عبدالجليل وماجد بن صالح الخليفي ، وابن عثيمين وأحمد بن يوسف الجابر وعبدالرحمن المعاودة .

إن هذه الدراسة على صغر حجمها أعطت شمولية لهذا الموضوع ، ووضعت أساساً للدراسات المستقبلية أمام الدارسين ، رغم ما فيها من مآخذ أشرت إليها في أماكنها .

شقائق النعمان

شقائق النعمان

لقد اختصرت عنوان هذا الكتاب إلى الثلث حيث كان (شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان » ... تأليف فضيلة الشيخ الفقيه الأديب محمد ابن راشد بن عزيز الخصيبي ... أصدرته وزارة التراث القومي ، والثقافة بسلطنة عمان في ثلاثة مجلدات .

ومن عنوانه يتضح أن المؤلف سلك فيه نهج القدماء في السجع ... وفي إيراد أسماء وتراجم الشعراء ... لا حسب الترتيب الزمني ولا الأبجدي ، وإنما حسب ما وردت أسماؤهم في القصيدة التي نظمها المؤلف ، والتي تحمل عنوان (سموط الجمان في أسماء شعراء عمان) .

ومؤلف الكتاب هو محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي ولد في مسقط عام ١٣٣٦هـ ... وتربى في حجر أبيه الشيخ العالم راشد بن عزيز ... فلما توفي والده انتقل إلى منطقة (سمائل) التي كانت تزخر آنذاك بالعلماء والأدباء ... فتلقى علوم العربية إلى جانب الفقه والأدب ، ملازما للإمام محمد بن عبدالله الخليلي الذي رشحه مدرساً للغة العربية ... وبعد ذلك أسند إليه القضاء بولاية (يدبد) عام ١٣٧١هـ ... ثم انتقل إلى العاصمة مسقط قاضياً بالمحكمة الشرعية ، حتى أحيل إلى التقاعد .

وقد ألف عدداً من الكتب في الفقه والفتاوى والأدب ... من بينها هذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي حاز إعجاب الكثيرين من أدباء وشعراء عمان فقرظوه وأثنوا عليه ... ومن ذلك ما ذكره تلميذه حمود بن حمد بن علي المسكري :

« وقد جاء هذا الكتاب عديم النظير في فنه ، لم يسبق عليه فيما جاء به قديماً وحديثاً ... فقد حوى أدباً وعلماً وتاريخاً . فهو الجوهر الفرد ويتيمة الدهر » .

ومما قاله الشاعر الأديب : عبدالله بن علي الخليلي :

كم شاعر قد جهلناه وذي أدب جلوته في سناها دمت من جال

أما الشاعر موسى بن سالم الرواحي فيقول :
(سفر حول الآداب والأشعار والأخبار بل وحوادث الأزمان) .

ويقول الشاعر جراس بن شبيط :

أنعم من طرفة أدبية ظهرت بعين الدهر كالإنسان

ويعبر الشاعر هلال بن سالم السيابي عن تقديره لهذا العمل الجليل بقوله :

هامت بغرته أعطاف حاضرنا واستيقظت من رؤى الماضي أوالينا
إذا تلوناه أطراف النهار هوى تخالنا بجلال الذكر تالينا
وإن قصصنا ختاماً من روائعه دعا الكمال وقال الحمد آمينا

أما طريقته في كتابة مواضيع الكتاب فهو يورد بيتاً أو بيتين من القصيدة ، ثم يشرح مفرداتها شرحاً لغوياً ، ويستخرج ما فيها من أسماء يقوم بترجمة كل واحد بصورة متواصلة يفصل بينهما بعبارة (ومن شعراء عمان في القرن كذا) ثم يورد الاسم والترجمة مبتدئاً بالقرن الأول الهجري ، حيث برز في عمان (مازن بن غضوبة الطائي) . وفي القرن الثاني (الخليل بن أحمد الفراهيدي) وفي القرن الثالث (محمد بن يزيد الأسلمي) ـ و(ابن دريد) ، وفي القرن الرابع (الشيخ محمد سعيد القلهاتي) وفي القرن السابع (أحمد بن سعيد الستالي) ، وفي القرن الثامن (الشيخ عبدالله بن عمر الشقصي) ، وفي القرن التاسع (ابن لواح واسمه سالم ابن غسان بن راشد اللواحي) ، وفي القرن العاشر (موسى بن الحسين الكيذاوي) ، وفي القرن الحادي عشر (ابن قيصر الصحاري واسمه عبدالله بن قيصر بن سليمان الصحاري ـ ومحمد بن مسعود الصارمي ـ ومحمد بن عبدالله المعولي ـ وسالم ابن محمد المحروقي ـ وخلف بن سنان الغافري ـ وسرحان بن سعيد السرحتي) ، وفي القرن الثاني عشر (راشد بن خميس الحيسي ـ وسعيد محمد الغشري ـ وراشد ابن سعيد العيسى) .

وفي القرن الثالث عشر : (هلال بن سعيد بن عرابة ـ وجاعد بن خميس الحروضي ـ وسلطان بن محمد العيطاشي وحميصة بن خصيف الهنائي ـ وعلي بن

ثابت الساساني ـ وخميس بن سليم الأزكوي وابن شيخان السالمي والمر بن سالم الخضرمي ...) .

وفي القرن الرابع عشر يبرز عدد من الشعراء ، لا يزال أكثرهم على قيد الحياة أبرزهم أبو الصوفي سعيد بن مسلم وهلال بن بدر البوسعيدي ـ وعبدالله بن علي الخليلي ، وسالم بن سيف البوسعيدي وعبدالله بن محمد الطائي ، وعائشة بنت عيسى الحارثي ، ونور الدين عبدالله بن حميد الساعي ، وهلال بن سالم حمود السبابي ، وسليمان خلف الحروضي ، وسالم بن علي الكلباني ، وناصر بن سالم المعولي ، وعبدالله بن علي السدراني ، وسليمان بن سيف الغليتي وناصر بن محمد الهاشمي ، وبدر بن سالم بن هلال العبري وموسى بن علي العبري وسليمان بن عيد الرواحي) .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى ذكر الأئمة والملوك والأمراء الذين لهم دواوين مطبوعة أو مجموعات شعرية مخطوطة وهم من صنفهم بالطبقة الثالثة ... أما الطبقة الرابعة فهم العلماء الذين ينظمون الشعر . والطبقة الخامسة : هم شعراء الأراجيز في الأديان والأحكام والسير والآداب . والطبقة السادسة : العلماء والقضاة في القرن الرابع عشر الهجري . والطبقة السابعة ، هم القضاة الموجودون في القرن الخامس عشر .

وهكذا نجد المؤلف قدم للقارىء موسوعة متكاملة عن شعراء ، وأدباء وملوك وأمراء وقضاة وكتاب سلطنة عمان منذ القرن الهجري الأول وحتى الوقت الذي نعيشه الآن ... وهي موسوعة تحتوي على اللغة العربية والأدب والشعر ... يستطيع أي باحث عن أدب عمان خاصة وأدب الخليج عامة أن يتكىء عليها وأن ينهل منها .

إلا أنني كنت أود أن يكون إخراج هذا الكتاب أفضل مما هو عليه ... كأن يقسم إلى فصول وتوضع له عناوين ... ويبرز كل أديب أو قاص أو شاعر في مقالة مستقلة منعاً للتداخل ... ثم إن المؤلف مع اهتمامه الشديد بإبراز كل المواهب إلا أنه أغفل المواهب النسائية ومشاركتها في النهضة الأدبية التي تعيشها السلطنة ... ولو أنه أغفل هذه الناحية تماماً لعددناه من المتعصبين ضد المرأة ... إلا أنه عندما ترجم للأديبة عائشة بنت صالح الحارثي كان لزاماً علينا أن نطالبه بأن يكون أكثر شمولية لاستقصاء هذه الناحية ... فقد برز في عمان العديد من المواهب النسائية في الشعر

والأدب وشاركت في توجيه النشء وخدمة المجتمع عن طريق الإذاعة والصحافة ... ومن هؤلاء :

لميس الطائي : حاصلة على ليسانس في الاجتماع وعلم النفس من جامعة عين شمس .

راجحة عبدرب الأمير : بكالوريوس رياضيات من كلية العلوم جامعة بغداد .

فاطمة غلام المحررة بجريدة عمان : لها العديد من التحقيقات الصحفية الناجحة .

سعيدة بنت خاصر الفارس : (شاعرة) حاصلة على الليسانس في اللغة العربية والتربية من جامعة الكويت ـ صدر لها ديوان (مد في بحر الأعماق) ... ومن شعرها قصيدة بعنوان (أمومة) تقول فيها :

إذا ما تكورت في داخلي ... وأثقلت جسماً خفيفاً خلي
وصرت تلملم روح الحياة ... فلم يبق شيء سوى الآه لي
عرفت بأني نديم السهاد ... وليلي طويل لن ينجلي
وبت أقلب فكر التمني ... سأحظى بليلى ترى أم علي
ولما توالت شهوري الطوال ... وقاربت هولا به مأملي
ذبلت ذبول غصون الخريف ... ومن تلك مثلي ولم تذبل

ورحمة بنت علي : التي تعمل بوزارة الإعلام لها مشاركات شعرية نشر أكثرها في مجلة (العقيدة) .

وزكية بنت سالم العلوي : حاصلة على ليسانس في الآداب من جامعة الكويت وهي كاتبة قصة قصيرة نشرت قصصها في الصحف العمانية .

وزكية البوسعيدي : تكتب المقالة والقصة القصيرة .

هؤلاء وغيرهن كثيرات لا يتسع المجال لذكرهن ... كنت أود أن المؤلف وضعهن ضمن كتابه ليكون جامعاً شاملاً ... مصوراً للحياة الفكرية المعاصرة في عمان من كل جوانبها ...

إلا أن الكتاب في النهاية مرجع جيد لمن يتصدى للكتابة عن الأدب العماني خاصة ... وأدب الخليج العربي عامة .

علي بن المقرب العيوني

(حياته ... وشعره)

علي بن المقرب العيوني

حياته ... وشعره

لقد كاد هذا الشاعر الفحل علي بن المقرب العيوني أن ينطمس أثره لولا ومضات وردت في كتب الأدب والتاريخ استطاعت أن تبقيه في الذاكرة مدة تزيد على سبعة قرون .

وقد بدأ الاهتمام بشعر هذا الشاعر ، دون شخصه عندما صدر ديوانه مطبوعاً لأول مرة في المطبعة الأميرية بمكة المكرمة عام ١٣٠٧هـ ثم صدر شرح ديوان ابن مقرب المطبوع في الهند عام ١٣١٠هـ ... وقد قام الدكتور عبدالفتاح الحلو بتحقيق طبعة جديدة من الديوان عام ١٣٨٣هـ أصدرتها مكتبة التعاون الثقافي بالأحساء .

أما الاهتمام بأدبه وبحياته ككل فإن البداية الأولى كانت للأستاذ عمران بن محمد العمران الذي صدر عام ١٣٨٨هـ ثم كتاب : ابن مقرب العيوني شاعر الخليج العربي ، وهو بحث للدكتور مرزوق فرح مرزوق الأستاذ بجامعة البصرة .

وعندما أراد الدكتور علي بن عبدالعزيز الخضيري الحصول على الشهادة العليا (الدكتوراة) في الأدب ... وجد في شعر ابن مقرب وحياته منهلاً عذباً ، ومنتجعاً فسيحاً للدراسة والتحليل فأصدر كتابه ـ موضوع البحث ـ عام ١٤٠١هـ حيث جاء في الصفحة الثامنة منه :

« هذا الكتاب رسالة نال بها المؤلف درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض » .

والكتاب مكون من ٤٦٠ صفحة من القطع الكبير ، مطبوع طباعة جيدة على ورق مصقول ويحتويه غلاف ملونْ مصقول أيضاً ... طبع في مطابع مؤسسة الرسالة ببيروت ... وقبل أن نفصل محتويات الكتاب ، يجب أن نقف مع القارىء ليعرف

شيئاً عن المؤلف كما هو موضح بظهر الغلاف الأخير إذ جاء فيه :

« ولد الدكتور علي بن عبدالعزيز الخضيري بالبكيرية من بلاد القصيم سنة ١٣٦٦هـ ... ونشأ بها وتلقى علومه الابتدائية ثم أكمل دراسته المتوسطة والثانوية في الرياض وأنهى دراسته الجامعية بكلية اللغة العربية سنة ١٣٨٩هـ .

حصل على درجة الماجستير في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سنة ١٣٩٤هـ ... ثم درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف في الأدب العربي من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٤٠٠هـ .

عمل موظفاً بديوان الموظفين العام ، ثم انتقل إلى وزارة الإعلام السعودية مديراً لإذاعة القرآن الكريم ثم مديراً للتخطيط والتدريب ثم مديراً عاماً للإذاعة .

ذلك هو المؤلف ... فماذا عن الكتاب ... ؟

لقد قسم المؤلف كتابه إلى بابين ، تحدث المؤلف قبلهما في المقدمة عن ظروف تأليف هذا الكتاب ، مشيراً إلى المصادر والمراجع التي استقى منها معلوماته ، وعدد طبعات شعر ابن مقرب .

أما الباب الأول ... فقد بدأه بتمهيد تحدث فيه عن وطن الشاعر (البحرين) والتي تحتوي أسماء : أوال والقطيف وهجر ـ الأحساء ـ وغيرها من المدن والقرى الواقعة على ساحل الخليج ... ثم يفصل الحديث عن جغرافية البحرين ومسمياتها وتأسيس مدينة الأحساء معتمداً على ما ورد في شعر ابن المقرب ... ويعود بالحديث عن التاريخ القديم لهذه المنطقة ، كما ورد في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ... ثم وفد عبدالقيس على النبي ﷺ سنة ٩هـ ... ثم يعرج بالحديث عن حادثة الردة وموقف عبدالقيس منها والثبات على الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ ... ودور عبدالقيس في قتال المرتدين ... وبعدها عرج على تاريخ هذه المنطقة خلال فترة الخلفاء الراشدين ، وما حدث فيها من فتن على أيدي الخوارج نجدة بن عامر الحنفي الذي قتل سنة ٧٢هـ ثم أبو فديك ثم مسعود ابن أبي زينب العبدي سنة ١٠٥هـ ... ثم يتوقف التاريخ عند سنة ١٢٤هـ حيث قتل مسعود فلم تعد كتب التاريخ تذكر هذه المنطقة إلا بدءاً من سنة ٢٤٩هـ حينما خرج بها صاحب الزنج

واستمر تسلطه عليها إلى أن قتل سنة ٢٧٠هـ ... وبعد فترة بسيطة سنة ٢٨٦هـ قام أبو سعيد الجنابي بتأسيس دولة القرامطة في البحرين ، وبعد أن آل الأمر لأبي طاهر ابن سعيد سنة ٣١١هـ قام بتأسيس مدينة الأحساء .

وقد استمرت دولة القرامطة والمتغلبون من بعدهم إلى أن ثار بها عبدالله بن علي العيوني ـ ابن عم الشاعر ـ واستقام له الأمر سنة ٤٧٠هـ .

ثم يستعرض المؤلف تاريخ الأسرة العيونية ، وأبرز حكامها عبدالله بن علي وابنه الفضل ، وأبو سفيان محمد بن الفضل .

ثم ينتقل إلى فترة النزاع بين الأمراء العيونيين واقتسام النفوذ بين فرعين من فروع الأسرة ... ففي الأحساء قام فرع يتزعمه محمد بن أبي الحسين بن أبي الفضل وفي القطيف قام فرع بزعامة علي بن عبدالله بن علي ... وقد استمر الحكم في عصبيتهما إلى أن اضمحل نفوذهما وزالت دولة العيونيين في نهاية العقد الثالث من القرن السابع .

وقد واكبت تلك الحركة السياسية في البحرين أحداث جسام أهمها : غارة الإفرنج على بلاد الشام حيث تصدى لهم صلاح الدين الأيوبي ، ودحرهم في حطين سنة ٥٨٣هـ ... ثم وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ ووفاة الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٦٢٢هـ ... وكان أسوأ ما واجهته البلاد الإسلامية غارات المغول والاستيلاء على العراق والشام بعد قتل الخليفة المستعصم سنة ٦٥٦هـ .

ثم ينتقل إلى الحديث عن الحياة الاجتماعية والثقافية في عصر ابن المقرب وكانت فترة مغرقة في الظلمة ، لولا بعض الإضاءات التي تمثلت في مؤلفات ضياء الدين بن الأثير ـ وابن أبي الحديد ـ والكاكي وعز الدين بن الأثير وياقوت الحموي .

وبرز في هذا العصر شعراء أقل شأناً من شعراء العصر العباسي الثاني مثل ابن التعاويذي ، وابن الساعاتي وابن سناء الملك وابن عنين وابن الفارض وابن الحاجري وابن مطروح ، والبهاء زهير .

ثم ينتقل في الفصل الثاني للحديث عن حياة الشاعر بدءاً باسمه ونسبه ... فيقول عن الأسرة العيونية :

أما الأسرة العيونية التي ينتمي إليها ابن المقرب فقد حكمت الأحساء وسائر بلاد البحرين بعد القضاء على القرامطة سنة ٤٦٦هـ وينتهي نسب هذه الأسرة إلى ربيعة بن نزار ... أما اسم الشاعر فقد اعتمد المؤلف على ما أورده ابن الشعار الموصلي بقوله :

علي بن المقرب بن منصور بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن علي ابن محمد بن إبراهيم بن محمد أبوعبدالله الربعي البحراني العيوني .

وعن مولده ونشأته يقول : إنه ولد سنة ٥٧٢هـ في بلدة العيون بالأحساء وقد نشأ وتعلم في الأحساء وكانت إقامته إبان شبابه في الأحساء إلى أن نشب الخلاف بينه وبين أبناء عمومته فخرج منها إلى العمران ... لأن علاقته بالأمراء في البداية كانت جيدة خاصة أبناء الفضل بن عبدالله حتى قتل محمد بن أبي الحسن ضاع الشاعر في خضم الصراع بين أبناء الأسرة ... إلى أن انتهت الحال إلى تلك القطيعة التي عرضته للسجن والمصادرة من قبل الأمير محمد بن علي بن عبدالله بن علي .

وعندما يريد الحديث عن رحلات ابن المقرب لا يجد ما يعتمد عليه في تحديد ميزات تلك الرحلات إلا أنه يجد في القصائد التي قالها في أمير البصرة باتكين ما يفيد أنه مر بهذه المنطقة سنة ٦٠٤هـ بعد انحداره من بغداد .

ويعود إلى الأحساء عندما علم بمقتل والده ... إلا أن الجناة أفلتوا ولم يستطع الأمير الفضل بن محمد أن يقبض عليهم ... فيعاود ابن المقرب السفر مرة أخرى إلى بلاط الخليفة العباسي سنة ٦٠٥هـ مستعيناً به على قتلة أبيه في قصيدة مطلعها :

أبى الدهر أن يلقاك إلا محاربا   فجرد له سيفاً من العزم قاضباً

ولقد استهوته بغداد فعاود الرحيل إليها سنة ٦١٤هـ وسنة ٦٢٣هـ وهي رحلات أكسبت ابن المقرب شهرته ، وصيته وعرفت به مثقفي عاصمة الخلافة كما أكسبته هو معرفة العديد من رجال الفكر ورجال السياسة .

وعندما يريد المؤلف أن يتعرف على ثقافة الشاعر لا يجد أمامه سوى شعره وهو ثروته الحقيقية ، ومنه تتحدد معالم شخصيته ... وعمق معرفته وسعة اطلاعه

وإدراكه ... ومن شعره يتضح أنه درس النحو والصرف وأنساب الخيل .

وعن أخلاقه وشخصيته يقول المؤلف : إنه كان جلداً وصبوراً متحملاً لأحزانه ... وفي مقام آخر يقول : إن له نفساً أبية تحمله على صلة الرحم والمحافظة على روابط القربى ـ وكان وافياً لأخلائه كما كان عزيز النفس يدل على ذلك ترفعه عن الهجاء في كثير من أشعاره ... وإلى جانب ذلك كان مترفعاً عن طلب المال ... شديد الأنفة ، قوي الغيرة على محارمه ... عظيم الإشفاق على بناته ... شديد المحافظة على بيته ... وهو أيضاً مؤمن قانع بما قدر الله له ... كل ذلك مستوحى من شعره ... ظاهر فيه ... وهو ما أعطى المؤلف ذلك المفتاح العجيب لشخصية ابن المقرب ...

أما عن وفاته فإن المؤلف يحتار في أن تكون وفاته سنة ٦٢٩هـ ... أم ٦٣٠ ـ أو ٦٣١هـ إلا أن الإجماع لدى عدد من المؤرخين يقرر أن تكون وفاته سنة ٦٣١هـ بالأحساء ـ كما يقول المؤلف ـ إلا أن ابن الشعار الذي اعتمد عليه المؤلف ذكر أن وفاته كانت في بلدة طيوي بعمان كما أشار إلى ذلك أيضاً الهمذاني في صفة جزيرة العرب .

أما الباب الثاني ـ وهو أكبر جزئي الكتاب ـ فهو عن دراسة شعر ابن المقرب ... وقد بدأ هذا الباب مستعرضاً نسخة الديوان المخطوط منها والمطبوع .

وفي هذا الصدد أشار المؤلف إلى وجود خمس عشرة نسخة مخطوطة موزعة في المكتبات ودور الكتب ، أقدمها نسخة دار الكتب المصرية التي كتبت عام ١٠٦٧هـ ... وبعد أن أورد وصفاً لطبعات الديوان أشار إلى نقاط التباين والقصائد التي وردت في بعض الطبعات دون أن ترد في البعض الآخر .

وعندما ينتقل إلى أغراض شعر ابن مقرب ، يحددها المؤلف بأنها لا تخرج عن دائرة المديح والشكوى ، والفخر والهجاء والوصف والرثاء والغزل ... وبعد هذا الاستعراض ينتقل المؤلف إلى دراسة شعر ابن المقرب دراسة نقدية وافية من حيث المضمون والشكل ، ثم ينتقل في فصل آخر إلى مكانة الشاعر بين شعراء عصره مثل ابن عنين وابن التعاويذي ... ثم يستعرض آراء النقاد في شعر ابن المقرب سواء

القدامى مثل : ابن الشعار مؤلف كتاب القلائد الجمان في شعراء الزمان ... وعندما أشار إلى ياقوت الحموي الذي أثبت نسب ابن المقرب ... لم يذكر عبارة ياقوت (سمعت بعض شعره وليس بالطائل عندي ... وهي العبارة التي وردت في التعريف بالعيون) ، وهي نقطة تاريخية ومهمة لأنها تحتوي على رأي نقدي عام .

أما النقاد المعاصرون فقد أشار إلى عدد منهم كان أبرزهم المرحوم : عبدالقدوس الأنصاري الذي وضع دراسة مستفيضة عن هذا الشاعر عام ١٣٥٥هـ .

وعندما يعرض لكتاب الأستاذ عمران بن محمد العمران نراه يقف عنده طويلاً ففيه الدراسة الأولى المستفيضة التي وضعت عن هذا الشاعر وكان للأستاذ عمران نصيب السبق في إزالة الغموض عن هذا الشاعر وشاعريته .

والخلاصة إن كتاب الدكتور الخضيري يعد أوفى دراسة صدرت عن هذا الشاعر الفحل ... إذ فيه إلمام بكل جوانب حياته ... وخصائص شعره ... كما أنه احتوى على جزء كبير من تاريخ الأحساء في عهود كادت أن تنطمس من التاريخ لولا إشارات بسيطة وردت في بعض الكتب ... فكان للمؤلف فضل جمعها واستخلاص ما فيها من تسلسل الأحداث .

إلا أنني كنت أود منه وهو الذي اضطلع بهذا الجهد الجبار أن يقف عند الدولة العيونية ليوضح ظروفها والحياة الاجتماعية في عهدها ... وحالة التعليم وعلاقتها السياسية بجيرانها ... فإنه لو وضع هذه الأمور ضمن الدراسة لقدم لنا ما يكلل جهده بأكثر مما ننظر إليه الآن من الإعجاب والتقدير والإكبار لذلك الجهد الذي أعطى ثمرته كتاباً جيداً يستفيد منه الدارسون ، والمؤرخون وعشاق الأدب على حد السواء .

والكتاب في صورته الأخيرة يعد أوفى وأكمل دراسة وضعت عن ابن المقرب ـ حتى الآن ـ حاول المؤلف أن يضعها في قالب نقدي تقليدي ، إلا أن الحس الأدبي الذي يتمتع به جعلها تعطي أكثر مما يراد منها ؛ لتغطي تلك الساحة العريضة من حياة ابن المقرب وشعره .

عبدالعزيز بن عبداللطيف آل مبارك

عبدالعزيز بن عبداللطيف آل مبارك

قبل أن نتوغل في شعر الشيخ « عبدالعزيز » والرحيل مع أغراضه ... نود أن نتوقف لإعطاء القارىء لمحة موجزة عن حياة الشيخ ... فقد ولد بالهفوف عام ١٣١٠هـ في أسرة حملت مشعل العلم ، والثقافة منذ ما يزيد على قرن من الزمان ... وفي بيت شبع أفراده بحب المعرفة ... فوالده الشيخ « عبداللطيف بن إبراهيم » ... وجده الشيخ « إبراهيم بن عبداللطيف » من رجال الدين والأدب والثقافة الإسلامية .

وقد قرأ القرآن عند أحد المعلمين ... ثم قرأ الفقه والحديث والتفسير على يد جده الشيخ إبراهيم ... وأخذ النحو وعلوم العربية عن الشيخ « عبدالعزيز بن صالح العلجي » وقد رحل إلى البحرين وأقام بها مدة من الزمن ثم سافر إلى عمان ... ومنها إلى الهند للعلاج .

وكان خلال رحلاته يلتقي بالعلماء والفضلاء من أهل البلاد ، وتجري له معهم أحاديث ومساجلات ولا يخلو مجلسه من الدعوة إلى الله والتذكير والإرشاد ... وعندما توفي رحمه الله عام ١٣٤٣هـ كان عمره لا يتجاوز الثالثة والثلاثين[١] .

إن القصائد القليلة التي أثبتها الدكتور « عبدالفتاح محمد الحلو » في كتابه « شعراء هجر » ليست هي كل اهتمامات الشيخ « عبدالعزيز المبارك » بطبيعة الحال ... فهو في الأساس عالم ديني متضلع ، وداعية إسلامي لا يخاف في الحق لومة لائم ...

ثم هو إلى جانب ذلك خطيب مصقع وكاتب بليغ وإن كان لا يخرج عن الأسلوب البديعي المتوارث ... ثم إنه على قصر حياته نراه يستغل كل فرصة سانحة

---

(١) شعراء هجر .

سواء كان في السفر أو في الحضر للدعوة والإرشاد نثراً وشعراً وقولاً وعملاً . انتقل إلى رحمة الله في عام ١٣٤٣هـ وللمؤلف دراسة موسعة عن سفره في كتاب قدماء ومعاصرون .

وأنا هنا لن أقسم شعر الشيخ عبدالعزيز ذلك التقسيم التقليدي الذي كان يعتمده الأقدمون من غزل وفخر ورثاء ومديح ... بل سآخذ منحى آخر لأتحدث من خلال شعره عن علاقته بالآخرين ... الأهل ... الأسرة ... المرأة ... الأصدقاء ... الوطن ... الطبيعة ... لأنه يتعامل مع العناصر من خلال شعره سواء كان ذلك الشعر مديحاً أم رثاء ... غزلاً أم فخراً .

والإنسان لدى الشيخ عبدالعزيز هو الأهل ، والأسرة والأصدقاء ... المرأة والرجل ... الأب والأخ والأخت والزوجة .

لذلك نجده عندما يتحدث عن والده في ساعة الفراق النهائي مودعاً ... يبكي بحرقة ، ويتحدث عن والده وهو في عز نشيجه يملأ مسامعه زهواً ... ويحس بأن هذا المتحدث يصور إنساناً بلغ شأناً من المجد والرفعة .

فعن لحظات الأسى والأسف يقول مصوراً مشاعره ومشاعر من حوله :

واهاله من حـادث جـلل دهـى   خطـب تكـاد له الجـبال تـحطم
نـهشت بـه سـود الرقوم قلوبنا   فـكـأنـما في كل رقـم أرقـم

في هذا الموقف المحير وتلك الصدمة العنيفة التي بهرت العقول بذلك المصاب تبرز خصال العظمة التي يراها في والده ... والتي يشهد بها الجميع :

علم ببطـن الأرض أصبح مضمراً   فسـما ومثـلك بالإشـارة يفـهم

لكن مظاهر الحزن والعبقرية لا تبعد الفقيد عن صفاته الإنسانية النبيلة :

سـهل اللقـا طـلق المـحيـا إنـما   أدبا على الأبنـاء قـد يسـتهـجم
سلـب العقـول بحسـن خلق باهـر   وجـمـيل خـلق والمـحسن أسـهـم

ثم يأتي بعد ذلك دوره وعلاقته البنوية لذلك الإنسان الفاضل داثراً الفاجعة

في نفسه :

إني لتأخذني لذكراك رعشة حتى تكاد مفاصلي تنفصم
من لي بمسك من ثراك أشمه أو نفحة من عرفه تتنسم

لكن ما هو سر تلك الفاجعة ؟ فكم من إنسان يموت فلا يخلف تلك الضجة وإن كانت في القلوب لوعة وللفراق حرقة ... ويجيبنا الشاعر بأن ذلك الإنسان عظيم لا ككل الناس ... فهو فقيد في كل شيء سمعه يتحدث عن عمه الشيخ راشد بعد وفاته :

سيبكيه محراب ودرس ومنبر وكتب وأقلام ورأي ومجمع
ووعظ وتذكير إلى الله منهض وزجر يلين الصخر منه ويخضع
سيبكي عليه العلم والجود والحجا وحسن النهى والعزم والحزم أجمع

وعندما ينتقل بالحديث عن الأحياء نجده يحدث خاله الشيخ « عبدالعزيز بن حمد » بكل صدق وتقدير فيمدحه بما فيه ليس أكثر :

ما العلم يا صاح إلا حيث كان فإن يقم أقام وإلا سار حيث نحا

والأصدقاء نجد في مقدمتهم الشيخ « محمد بن عيسى الخليفة » الذي يخاطبه بقوله :

همام فاق في خلق وخلق وحاز جميع أشتات الأثال
رحيب الصدر وضاح المحيا شمائله أرق من الشمال

ويخاطب صديقه « عبدالعزيز عكاس » :

فالعمر غصن والشبيبة ماؤه وزهوره ولع جميل المخبر
والمرء ريع والعلوم ربيعه وثماره عمل بحسن تبصر

والمرأة لدى شيخنا عبدالعزيز صديقه قبل كل شيء يجاذبها أطراف الحديث تسمع منه وتمسح جراحاته :

وشكوت من أرقي لها وصبابتي قالت : وهل من شاهد لك حاضر ؟
قلت : .الدجى قالت جميع قضاتنا لا يقبلون شهادة من كافر
قالت : ومالك دمع عينك جامد قل لي وما للجسم ليس بضامر

وحتى الحب تراه يقف منه موقفاً إنسانياً فيرضى بمجرد الخيال :

وإني ليرضيني طروق خياله ولكن باب الجفن بالفتح مقفل

وفي موقف آخر لا يستنكر البوح ... والحديث العذب عن الحب ... فهو سمة إنسانية :

بح بالذي تلقى وصرح باسم من تهوى ولا تحذر فديتك لوماً
واشكر على عدل الحبيب وجوره وذق الذي ذقته فلعل ما
واستعذب التعذيب واسعد باللقا وأرض الذي يرضى به واصبر كما
وتعال قص علي من طرف الهوى طرفا فقد أمسيت مثلك مغرماً

وقد يجر الحب إلى التذلل أمام الحبيب ، والخضوع لمآربه ... فكم طأطأ الحب رأساً وسلب ألباباً وشرد أفكاراً ... لأن سلطان الحب أقوى من كل سلطان ... ومجدافه يهوي نحو الهوى في النفس ... فما دام ذلك الهوى يميل إلى رضاء القلب فعلى معشر المحبين أن يتحملوا :

يلذ لقلبي في الصبابة ذلتي ويجمل إلا في الغرام التجمل

هذا هو الحب وتلك هي أحكامه ... لكن المحب مهما تظاهر بالتجمل والصبر أو تظاهر بالعفة والتنسك أمام الناس فإن نار الوجد تحرقه ... تهيج كوامنه ... لا تدع له فرصة للاستمرار في مظهره الذي يحاول أن يتماسك به أمام الناس :

يا من لقلب كلما رام العزا نقضت يد الأشواق ما قد أبرما
أو كلما شيدت بيت تنسك هد الهوى ما قد بنيت وهدما
وأخو الغرام وإن ترهب برهة ما كان أسرع ما يعود متيما

لكن هل هناك استجابة من المحبوب ؟ لا ... لأن المحبوب عرف مكانه

فتدللا ... عرف أنه أصبح يمسك في يديه خيوط الأمل لذلك القلب المتيم :

واهـا لقلبي من تجـني شـادن متجـبر في حكمه متكبـر
متعـزز متمنـع متـرفـع متوجـش متشـرد متنفـر
لم يـوف ديني وهو مثـر قـادر والظلم كل الظلم مطل الموسـر

ورغم كل ما يلقاه من العنت وما يقاسيه من الآلام ، فإنه لا يقبل نصحاً أو عذلا ... لأن كل ما يفعل المحبوب محبوب ... وهذا النصح اللائم ليس له من الأمر شيء فلماذا يتدخل في شؤون لا تقدر عليها النفس :

الا يا لائمي في الحب دعني فليس عليك رشدي أو ضلالي
تلوم على الهوى سفهاً وهل للهوى مأوى سوى مهج الرجال

ورغم هذا الحب الكبير الذي عايشه الشاعر ؛ والذي يتخيل القاريء أنه أحد مجانين عصره فإنه لم يعاشر المرأة ... وإنما عاشت في خياله صورة جميلة فيها النقاء والحنان ولديها الجمال ورغم كل ذلك فهو يتصور اللقاء ويوجد حادثة لم توجد :

لاقيته فتعانقنا معانقة قد بددت بيننا الأقراط والوشحا
وبت من ثغره الدري مغتبقاً راحاً ومن خده الوردي مصطبحاً
وقد جعلت له يسراي منطقة كما جعلت له يمناي متشحاً

هذه صورة واحدة من صور اللقاء لكن الصورة الثانية تختلف :

برزت كبدر فوق غصن في نقا تحت الدجى يرنو بمقلة أحور
وتلفتت عن جيد ظبي نافر وتبسمت عن لؤلؤ في كوثر

والذي يدعم حجتنا أن ذلك الحب ... وتلك اللقاءات ما هي إلا من خيالات الشاعر ... فهو يصور الحبيبة بصورة البدر ، في البيت الأول وظبي نافر في البيت الثاني ... ويصفها بالظبي مرة أخرى في قوله :

ظبي كحيل الطرف لولا ثغره لم يشج قلبي لمع برق ساهر

ومع كل هذا الإغراق في الخيال تبرز فضيلة (العفاف) لتعرض منطقها ،

ولتعطي القارىء والسامع ذلك الضابط القوي الذي لا يتسرب معه الشك :

ولئن حشا مني الحشا شجنا فقد ملئت طباعي عفة وتكرماً

ولعل سائلاً يسأل : لماذا يكون الحب بهذه الصورة البعيدة في الخيال ؟ بل لماذا الحب أساساً : لإنسان نذر نفسه لحياة جادة كرسها للدعوة إلى الله عز وجل ؟ ... فيجيب الشاعر :

ما الحب إلا شيمة عربية ولئن خلا منها امرؤ لن يكرما

ويقول في موقف آخر :

ما العشق إلا ثوب مجد مجدد به المرء ما بين الورى متجمل

وحب الوطن هو أسمى آيات الحب ومظاهره البارزة... والتعبير عنه هو أغنى مظاهر التعبير لذلك نجد كثيراً من الشعراء عندما يتحدث عن الوطن يصاب برجفة تأخذ بمجامعه حتى تحول حديثه الهامس إلى خطبة رنانة تدوي في الأرجاء ... والوطن قد يتمثل في جزء من أجزائه ... أو بقعة من بقاعه ... كما في حديثه عن الكويت :

ما الكويت إلا روضة قد أثمرت ببدور ثم فضلها لم ينكر

وعن البحرين (أوال) وقد أقام بها فترة :

أوال سقاك وسمي الغوادي فأنت أحق بالوسمي الموالي

لكن أسوأ ما يمر بالإنسان من ظروف أن يضطر لترك الوطن ... الأرض التي عايشها وعايشته ... استنشق هواءها ودرج على أرضها وشرب من مائها ... وترك الوطن حتى للسياحة صعب ... ثقيل على الفؤاد فكيف على من يتركه مرغماً ... تجبره الظروف حفاظاً على حياته أو كرامته وهذا ما حدث لسكان « البديع » بالبحرين ... فإنهم رأوا أنهم لا يستطيعون التعايش مع حكم الإنجليز (المحتلين) الجائر وتحكمهم فرحلوا :

فتذمرت عرب « البديع » غيرة عربية مع سائر الأتباع
وترحلوا عنه ولم يتلفتوا كرماً لطيب مساكن وضياع

وعرب البديع (الدواسر) عادوا إلى أرضهم ومنبتهم الأصلي « نجد » يشدهم حنين الدم ... ونداء الأرض ... إن بلاد الله واسعة ... كان في إمكانهم أن يسيحوا في أرجائها إلا أن ذلك الحنين الباقي منذ مئات السنين دعاهم إلى المنبت الأصلي فعادوا إليه :

رحلوا عن الأوطان في طلب العلا فاستبدلوا منهن خير رباع

وعرب البديع « الدواسر » الذين رحلوا عن الأوطان منذ أكثر من نصف قرن لا تزال لهم أملاك وعلاقات اجتماعية وصلات إنسانية لم يستطيعوا نسيانها أو التجاوز عنها رغم مرور هذه السنوات ... ولعل أعظم من ذلك أنهم لا يزالون يحنون إلى منبت الجذور الأولى ويعتزون بالانتماء إلى « نجد » موطن الآباء والأجداد :

لم يقبلوا هذا الهوان لأنهم من عرب « نجد » الفتية الأرواع

ولله در « أحمد شوقي » الذي قال :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

وقليلة هي القصائد التي تعالج موضوع السياسة ؛ لكنها على هذه القلة تطرح تصوراً للأوضاع في البلاد العربية في القرن الماضي ـ الرابع عشر ـ ذلك لأن الشاعر أتيحت له فرصة السفر والتجوال بين مناطق الخليج العربي : البحرين ـ عمان ـ الإمارات العربية ، وكانت هذه المناطق آنذاك تحت الاحتلال البريطاني ورأى وسمع ما كان المحتلون يمارسون من أعمال ضد الوطنيين :

بدأوا بسلب حمى أوال لأنها مفتاح سائر هذه الأصقاع

ويقول عن بريطانيا التي تمثل الاحتلال في العالم :

أليس قد شابت بريطانيا فما لها في الملك لا تستنيب

إن الإنجليز يدعون أنهم ينوبون عن حكام المناطق التي يحتلونها في إدارة

شؤون البلاد ... وبريطانيا أحق بأن ينوب عنها من يدير شؤونها ، بعد أن هرمت وبلغت من العمر عتياً ... لكن بريطانيا تسير قدماً في ممارسة أعمالها آنذاك وتوسعة رقعة ممتلكاتها التي لم تكن تغيب عنها الشمس :

بل فغرت فاها لبلع الورى واستعملت في الخبث كل الضروب

أما تلك الممارسات التي كان المحتلون يستعملونها ضد الشعوب فإنه يصف بعضها بقوله :

هم أفتنوا بين الرعايا إلى أن نشبت بين الرعايا الحروب

وقد وضح هذا وبرز دور الإنجليزي « ديلي » في بث الفتنة بين أهل البحرين السنة والشيعة تارة ، وبين العرب والعجم ... وكانت فترة من أسوأ فترات تاريخ البحرين السياسي اقتتل خلالها أبناء الشعب وتفرقت كلمتهم ... والإنجليز ينمون روح الفرقة والتناحر والكراهية ... وكان هدف « ديلي » أن يجد المبرر ليتدخل بقوة السلاح :

حتى إذا الزرع نما أقبلوا ليجتنوا ثمار تلك الحبوب
وقام منهم آمرا ناهياً بقوة المدفع منهم خطيب
ظل يدعوهم بأسمائهم فلم يجبه غير دمع صبيب
ما بين تأنيب وذم له وبين إبعاد ووعد كذوب
ناداهم (بالطوب) فاستجمعوا ولو بغير الطوب نادى أجيب

وعدا المدافع كان هناك سلاح آخر تستعمله بريطانيا هو الرشوة ؛ يأخذها العملاء الذين ينفذون خططها فيثيرون الفتنة بين أبناء الشعب ، ويشيعون الفرقة ويدلون الأعداء على عورات البلاد والإنجليز يستغلون كل ثغرة :

حملوا علينا بالدراهم حملة لم نستطع في وجهها لدفاع

فكانت النتيجة المرة القاسية ... التي أدت إلى هذا الوضع :

فتلاعبت فتيان أوروبا بنا كتلاعب الصبيان بالمرصاع

والسلاح الآخر الذي صنعناه بأيدينا واستغله الأعداء ، ولا زالوا يستغلونه في احتلال القدس وأجزاء من بلاد العرب حتىٰ الآن هو :

القوم همهم الرقي وهمنا في فرقة وقطيعة ونزاع
ساد الخلاف برأينا وتغلبت في جمعنا الفوضى فما من راع
فبكل دار منبر وخليفة يدعو لبيعته على أوضاع

ولعلاج هذه الأمور والتخلص من الإحتلال الأجنبي كان هناك طريق واحد هو طريق الوحدة :

أو ليس مغزانا جميعاً واحد فعلام هذا الخلف في الأتباع
فإلهنا وكتابنا ونبينا وبلادنا والأصل غير مشاع

ثم تأتي المرحلة الثانية بعد الوحدة وهي الانصراف نحو العلم ، لأن الجهل أسوأ بكثير من الفرقة والتناحر بل إنهما عنصران مكملان لبعضهما البعض :

وتعلموا فالعلم ليس لنفعه حد ولا جد نصر الجهل بالإجماع
فخذوا من الغربي خير علومه وذروا قبيح خلائق وطباع

إنه يصرخ وينادي بني قومه للاتجاه نحو العلم :

يا عرب الإسلام أدعوكم لخطة الرشد فهل من مجيب
العلم ... العلم تسودوا به فإن بالعلم حياة الشعوب

لكن ماذا علينا بعد أن نتعلم ؟ هل يكفي أن نفتح المدارس والجامعات ؟ ونظل نستورد كل شيء ؟ أم علينا أن نستغل هذا العلم في النهوض بمستوانا الاقتصادي والاجتماعي ، وهذا هو ما يدعو إليه ... وفي مقام آخر يرسم الخطة ويبين الطريق :

هبوا لطرد الفقر عن أوطانكم جيشاً من الزراع والصناع

وهو مع كل ما شاهده وسمعه ... ورغم الحرقة التي تتأجج في صدره من التردي في البلاد العربية آنذاك خاصة منطقة الخليج العربي يرنو إلى المستقبل ... يعقد الأمل ويترقب فجر الحرية مؤكداً أن ذاك الفجر آت لا محالة :

لا بـد لـلشــرقـي مـن كـــرة تـقـضـي على الغربي عـمـا قـريـب
فـقـد أفـاق الشـــرق مـن ســكـره وجـد ذاك المســتفز اللـعـوب

وها نحن نرى تلك الآمال تحققت بعد أكثر من نصف قرن ... فقد نزحت بريطانيا وانحسر ظلها ... فأخذت البلاد العربية ـ خاصة منطقة الخليج ـ تزرع بذور العلم في كل مكان ... وتسير في الطريق الصحيح نحو التنمية في كل الموارد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ولسنا في حاجة إلى التكرار حول ظروف ميلاد ونشأة الشيخ « عبدالعزيز » ودراسته ، فقد ولد في أسرة من أكبر الأسر التي حملت الرسالة العلمية أباً عن جد ، ولا تزال تحافظ على هذه الجذوة وتنميها ... كذلك تعهدها هذا الوليد بالتعليم الديني حتى غدا إماما مشهوداً له بالتفوق مما جعله في محل الصدارة للإرشاد والوعظ والدعوة إلى الله ... وهذه أهم الأهداف التي كرس حياته من أجلها .

والشعر في حياته ما كان إلا وسيلة من وسائل الدعوة والإفصاح عن المنهج مع تمسك بالتراث الإسلامي الخالد والحنين إليه إذ يسجل لنا قطعة من التراث في جزء من قصيدته التي أشرنا إليها آنفاً بقوله :

لله در عـصـابـة قـد أحــرزوا دانـت لهـا الدنيـا بـلا اسـتـمـنـاع
ملكـوا جميع المشرقين وأخضعـوا البـاغيــن فـيـهـا أيـمـا إخـضـاع

ويحث على عدم الاغترار بالدنيا ؛ لأنها زائلة وزائل صفوها وأنسها وعطاؤها :

ألا إنـمـا الدنيـا هـبـاء بـكـوة وآل على أفـنـان صـحـراء يـلـمـع

وهو قوي الإيمان ... إيمانه عن معرفة ويقين ... لذلك نراه لا يترك فرصة إلا ويذكر من حوله بزوال الدنيا ؛ ويحثهم على العمل الصالح ويحاول بقدر الإمكان أن يقرب الصور المجهولة التي لا يتصورونها حتى في أحلامهم :

ما هـذه الأرواح فـي أشـبـاحـهـا إلا ودائــع فـي غـد ســتـسـلـم
وإذا أتـى المـرء الحـمـام فـمـا لـه مـتــأخــر عـنــه ولا مـتـــقــدم

فهرس آفاق خليجية

نادي المنطقة الشرقية الأدبي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

٩٩٥٣٠٠١ الشباط ، عبدالله بن أحمد .
و٨١٠ آفاق خليجية : دراسات ونظرات في ماضي الخليج وحاضره / عبدالله بن
٦١٨ ش أحمد الشباط ـ ط ١ ـ الدمام : نادي المنطقة الشرقية الأدبي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
١٦٥ ص، ١٧×٢٤ سم .
ردمك ٦ ـ ٠١ ـ ٧٣٦ ـ ٩٩٦٠ .
١ ـ الأدب العربي ـ نقد ـ الخليج العربي

رقم الإيداع ١٤/١٢١٩
ردمك ٦ ـ ٠١ ـ ٧٣٦ ـ ٩٩٦٠